

صور من رد المظالم

(من الخلفاء والأمراء والقضاة والوزراء)

جمع وترتيب

عبدالعال سعد عويد الشليّه

اللَّهُمَّ افْتَحْ أَقْفَالَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ
وَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ وَفَضْلَكَ
وَاجْعَلْنَا فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

كتاب الثقات. لابن حبان (١٥٣/٥)

المقدمة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمْتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ. (١)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَتَتَوَدَّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ » . (٣)

« يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا » . (٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وأمر الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم : أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم ؛ ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة . ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم { لَيْسَ ذَنْبٌ أَسْرَعُ عُقُوبَةً مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ } فالباغي يُصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء ؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة . (٥)

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩) .

(٢) رواه مسلم (٦٧٤١) .

(٣) رواه مسلم (٦٧٤٥) .

(٤) رواه مسلم (٦٧٣٧) .

(٥) مجموع الفتاوى (١٤٦/٢٨) .

قال ابن القيم : كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة ، واحتزقت كبد يتيم ،
وجرت دمة مسكين { كُلوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ } : { وَكَلَّمْنَا نَبَأَهُ بَعْدَ
حِينَ } ما ابيض لون رغيفهم حتى اسود لون ضعيفهم ، وما سمت أجسامهم حتى
أنتحلت أجسام ما استأثروا عليه. لا تحتقر دعاء المظلوم فشر قلبه محمول بعجيج
صوته إلى سقف بيتك. ويحك نبال أدعيته مصيبة وإن تأخر الوقت . قوسه قلبه
المقروح ووتره سواد الليل ، وأستاذه صاحب لأنصرك ولو بعد حين ، وقد رأيت
ولكن لست تعتبر ، احذر عداوة من ينام ، وطرفه باك يقلب وجهه في السماء.^(٦)
هذه إشارة بسيطة :

من صور رد المظالم وإن كنت لم استقصي كل ما كتب فيها خشية الإطالة .
ورتبت هذه الصور حسب ترتيب وفيات أعلامها . والله المستعان .

.... وبالله التوفيق

(٦) بدائع الفوائد (٣/١٨٥) .

الأصل التاريخي للمظالم .

ظهرت أولى بوادر التصدي للظلم والوقوف بوجه الظالم مهما علت منزلته في مكة ، عندما قدم إليها رجلٌ زيدي من اليمن في بضاعة له اشتراها منه العاص بن وائل السهمي ، أحد سادات قريش ثم ماطله إياها ، فقام اليمني حول الكعبة مستصراً ، أهل مكة في رد هذا الظلم عنه قائلاً :

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِيَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفْرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثِ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَا لِلرِّجَالِ وَيَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْعُدْرِ .

وعند سماع قريش استغاثة اليمني بهم ، تداعى ساداتها واجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان ، واتفقوا على رد مظلمة اليمني وعقدوا حلفاً ادعى فيها بعد حلف الفضول لنصرة المظلوم على الظالم ، مهما علت منزلة الظالم .^(٧)

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " شَهِدْتُ حِلْفًا فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ َ :
بَنِي هَاشِمٍ، وَرَهْرَةَ، وَتَيْمٍ، وَأَنَا فِيهِمْ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ، وَمَا أُحِبُّ
أَنْ أَحِيسَ بِهِ وَإِنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ " قَالَ: وَكَانَ مُحَالَفَتُهُمْ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ،
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ لَا يَدْعُوا لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ فَضْلاً إِلَّا أَخَذُوهُ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَ
حِلْفَ الْفُضُولِ .^(٨)

قال النويري : والنظر في المظالم قديم، كان الفرس يرون ذلك من قواعد الملك وقوانين العدل الذي لا يعمّ الصّلاح إلا بمراعاته، ولا يتمّ التناصف إلا بمباشرته؛ وكانوا ينتصبون لذلك بأنفسهم في أيام معلومة لا يمنع عنهم من يقصدهم فيها من ذوى الحاجات وأرباب الضرورات.^(٩)

(٧) الروض الأنف (٧٢/٢) الأحكام السلطانية . ل. الماوردي (١٣٢) النظر في المظالم . د.أحمد الفاعوري و د.عمر القرالة (٤) .

(٨) شرح مشكل الآثار (١٥/٢٢١ ح ٥٩٧١) .

(٩) نهاية الأرب في فنون الأدب . ل. النويري (٦/٢٦٦) .

ولاية المظالم والنظر فيها .

ذكر علماء السياسة الشرعية شروطاً يجب أن تتوفر في والي المظالم وهي : أَنْ يَكُونَ جَلِيلَ الْقَدْرِ، نَافِذَ الأَمْرِ، عَظِيمَ الهِيبة، ظاهراً الْعِقَّةِ، قَلِيلَ الطَّمَعِ كَثِيرَ الوَرَعِ .
لِأَنَّه يُحْتَاجُ فِي نظره إلى سطوة الحماة، وتثبت القضاة. فاحتاج إلى الجمع بين صفتي الفريقين . (١٠)

والنظر في المظالم وظيفة أوسع من وظيفة القاضي، ممتزجة من السطوة السلطانية ونصفه القضاة، بعلو بين وعظيم رغبة، تقمع الظالم من الخصمين. وتزجر المتعدي ويمضي ما عجز القضاة ومن دونهم عن إمضائه، ويكون نظره في البنات والتقارير واعتماد القرائن، والأمارات وتأخير الحكم في استجلاء الحق، وحمل الخصم على الصلح، واستحلاف الشهود. وكان الخلفاء يباشرونها بأنفسهم؛ إلى أيام المهدي بالله، وربما سلموها إلى قضاتهم. (١١)

وهي ولاية جليئة، وهي متعينة على الإمام أو السلطان أن يباشرها بنفسه، أو يستنيب فيها نائباً يكون مقام نفسه، ويكون عارفاً عاقلاً دَيِّناً أميناً . (١٢)
قال ابن العربي : وأما ولاية المظالم فهي ولاية غريبة أحدثها من تأخر من الولاة، لفساد الولاية وفساد الناس؛ وهي عبارة عن كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه يداً . (١٣)

وقال ابن خلدون : وظيفة ممتزجة، من سطوة السلطنة ونصفه القضاء. وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدي . (١٤)

(١٠) الأحكام السلطانية للفراء (٧٣) .

(١١) التراتيب الإدارية . للكتاني (٢٢٧/١) .

(١٢) آثار الأول في ترتيب الدول . لـ العباسي (١٦٨) .

(١٣) أحكام القرآن (٦١/٤) .

(١٤) مقدمة ابن خلدون (١١٦) .

الخلفاء الراشدين :

قال الماوردي : ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الأربعة أحد؛ لأنهم في الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم ، بَيَّنَّ من يَفُودُهُ التناصفُ إلى الحق، أو يزرجه الوعظ عن الظلم، وإنما كانت المنازعات تجري بينهم في أمور مشتبهة يوضحها حكم القضاء، فإن تَجَوَّرَ من جُفَاةِ أعراجهم متجوِّرٌ ثناه الوعظ أن يُدبِرَ، وَقَادَهُ العُنفُ أن يُحسِنَ ، فاقتصر خلفاء السلف على فصل التشاجر بينهم بالحكم والقضاء تعيينا للحق في جهته؛ لانقيادهم إلى التزَامِهِ . (١٥)

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكانت أول خطبة خطبها أبو بكر رضي الله عنه حينما ولي الخلافة حيث قال : أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه، إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، إن شاء الله . (١٦)

وذكر ابن سعد : ما حدث يوم قدم أبو بكر إلى مكة عقب مبايعته فقال " فلما كان الظهر خرج فطاف أيضاً بالبيت ثم جلس قريباً من دار الندوة ، فقال : هل من أحد يتشكى من ظلامه أو يطلب حقا ؟ فما أتاه أحد وأثنى الناس على واليهم خيراً ، ثم صلى العصر وجلس ، فودعه الناس ثم خرج راجعاً إلى المدينة " . (١٧)

(١٥) الأحكام السلطانية . ل الماوردي (١٣١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ل النويري (٢٦٩/٦) .

(١٦) البداية والنهاية (٨٩/٨) .

(١٧) طبقات ابن سعد (٨٩/٨) .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

سيرة عمر من هذا الباب كثير وناهيك بما كان يفعله كل سنة في الحج الأكبر من تقصيه البحث عن أعمال الولاة، وسؤاله الناس بنفسه عن عمالهم وحكامهم .^(١٨)

■ قال عمر بن الخطاب ري الله عنه : ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وستتكم، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي، فو الذي نفسي بيده إذن لأقصنه منه، فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أو رأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته أئنك لمُقتَصُّه منه؟. قال: إي والذي نفس عمر بيده، إذن لأُقصنَّه منه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقصُّ من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتدلوهم، ولا تُجَمِّروهُم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهُم ، ولا تُنزلوهم الغِياضَ فتضيعوهم.^(١٩)

■ قال عمر رضي الله عنه : لا يشكو إلى أهل مَوْضِعِ عاملهم إلا عزلته .^(٢٠)
وقال عن عُمَرَ رضي الله عنه أيضاً : أَيُّمَا عَامِلٍ لِي ظَلَمَ أَحَدًا فَبَلَغَنِي مَظْلَمَتُهُ فَلَمْ أُغَيِّرْهَا فَأَنَا ظَلَمْتُهُ.^(٢١)

■ قال عمر رضي الله عنه لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني أما عمالهم فلا يرفعونها إلي وأما هم فلا يصلون إلي فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين والله لنعم الحول هذا .^(٢٢)

^(١٨) التراتيب الإدارية . ل الكتاني (٢٢٨/١) .

^(١٩) مسند الإمام أحمد (١/٣٨٤ ح ٢٨٦) .

^(٢٠) طبقات الشافعية الكبرى . للسبكي (٢/٣٣١) .

^(٢١) المنتظم . لابن الجوزي (٤/١٣٨) .

^(٢٢) تاريخ الطبري (٢/٥٦٥) التراتيب الإدارية . ل الكتاني (١/٢٢٨) .

■ خطب رضي الله عنه الناس فقال : والذي بعث محمدا بالهدى: لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله آل الخطاب. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني بال الخطاب نفسه ما يعني غيرها . (٢٣)

■ كتب عمر رضي الله عنه للأمرء والأجناد " ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين؛ ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم؛ فأدروا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم " . (٢٤)

■ بعث عتبة بن فرقد رضي الله عنه مع مولاه من أذريجان بسلال فيها خبيص وهو نوع جيد من الحلوى، فتذوقه عمر رضي الله عنه، فقال: إن هذا لطيب لين، أفكل المهاجرين أكل منه شبعه؟ فقال: لا، إنما هو شيء خصك به، فكتب عمر رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد رضي الله عنه: أما بعد : فليس من كدك، ولا كد أمك، ولا كد أبيك، لا تأكل إلا ما شبع المسلمون منه في رحالهم . (٢٥)

■ مر عمر رضي الله عنه بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: «ما أنصفناك، أن كنا أخذنا منك الجزية في شببتك ثم ضيعناك في كبرك» قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه . (٢٦)

(٢٣) التراتيب الإدارية . ل الكتاني (٢٨٦/١) .

(٢٤) الخراج . ل أبي يوسف (١٣١) .

(٢٥) رواه ابن أبي شيبه في المصنف (٣٢٥/١٢ ح ١٢٩٦٣) والدارقطني في السنن (١٠/١٢٨) صحيح من طريق

ابن أبي شيبه . وقال الألباني - رحمه الله - صحيح موقوف . صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٣) .

(٢٦) الأموال . ل القاسم بن سلام (٥٦ رقم ١١٩) الأموال . ل ابن زنجويه (١٦٩ رقم ١٧٩) أحكام أهل الذمة . ل

ابن القيم (١٤٤/١) جامع الأحاديث . ل السيوطي (٢٦/٤٧٥ ح ٢٩٥٠٣) كنز العمال (٤/٤٩٨ ح ١١٤٧٧) .

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وكان أول كتاب كتبه - عثمان رضي الله عنه - إلى أمراء الأجناد في الفروج أما بعد فإنكم حماة المسلمين وذادتهم وقد وضع لكم عمر ما لم يرغب عنا بل كان عن ملاء منا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه . (٢٧)

وقال رضي الله عنه : فإني مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً إن شاء الله . (٢٨)

وكتب أيضاً : إلى عمال الخراج أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق به والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم . (٢٩)

■ عن عمران بن عبد الله بن طلحة: أن عثمان رضي الله عنه خرج لصلاة الغداة فدخل من الباب الذي كان يدخل منه. فزحمة الباب فقال: انظروا.

فنظروا فإذا رجل معه خنجر أو سيف، فقال له عثمان رضي الله عنه: ما هذا؟ قال: أردت أن أقتلك.

قال: سبحان الله، ويحك علام تقتلني؟ قال ظلمي عاملك باليمن. قال: أفلا رفعت ظلامتك إلي، فإن لم أنصفك أو أعديك على عاملي أردت ذلك مني؟ فقال لمن حوله: ما تقولون فقالوا: يا أمير المؤمنين عدو أمكنك الله منه.

(٢٧) تاريخ الطبري (٥٩١/٢) .

(٢٨) تاريخ الطبري (٦٧٩/٢) .

(٢٩) تاريخ الطبري (٥٩١/٢) .

فقال: عبدٌ هم بذنب فكفه الله عني، آتني بمن يكفل بك: لا تدخل المدينة ما وليت أمر المسلمين.

فأتاه برجل من قومه فكفل به، فحلى عنه. (٣٠)

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أول خطبة خطبها حين تولى الخلافة: إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرّم حرماً غير مجهولة، وفضّل حرمة المسلم على الحرّم كلها، وشدّد بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يجل أذى المسلم إلا بما يجب، بادرو أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن ما من خلفكم الساعة تحذوكم، تخفّفوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه {وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ}. (٣١)

قال أبو يوسف: وحدثني بعض علماء أهل الكوفة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب إلى كعب بن مالك، وهو عامله: "أما بعد فاستخلف على عملي واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم". (٣٢)

قال الإمام علي رضي الله عنه: من ظلم عباد الله كان الله خصمة دون عباده، ومن خاصمه الله أدهض حجته، وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء

(٣٠) تاريخ المدينة . لابن شبه (١٠٢٧/٣) .

(٣١) تاريخ الطبري (٤٣٦/٤ سنة ٤٣٥هـ) .

(٣٢) الخراج . ل أبي يوسف (١٣١) تاريخ يعقوبي (١٨٩) .

أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإن الله يسمع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد . (٣٣)

خلافة معاوية رضي الله عنه .

■ كان معاوية رضي الله عنه يجلس للناس في المسجد فيسند ظهره إلى المقصورة ويجلس على الكرسي فيتقدم إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له ، فيقول : ظلمت ، فيقول : أعزوه ويقول : عدي علي ، فيقول : أبعثوا معه ويقول : صنع بي فيقول : انظروا في أمره حتى إذا لم يبقى أحد دخل فجلس على السرير . (٣٤)

وقال رضي الله عنه : إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله . (٣٥)

■ عن رجل من بني أمية قال حضرت معاوية يوماً وقد أذن للناس اذنًا عاماً فدخلوا عليه لمظالمهم وحوائجهم فدخلت امرأة كأنها قلعة ومعها جاريتان لها فحدرت اللثام عن لون كأنما أشرب ماء الدر في حمرة التفاح ثم قالت الحمد لله يا معاوية الذي خلق اللسان فجعل فيه البيان ودل به على النعم وأجرى به القلم فيما أبرم وحتم ودرأ وبرأ وحكم وقضا صرف الكلام باللغات المختلفة على المعاني المتفرقة الفها بالتقديم والتأخير والأشبه والمناكر والموافقة والتزايد فأذنته الآذان إلى القلوب وأدته القلوب إلى الألسن بالبيان استدل به على العلم وعبد به الرب وأبرم به الأمر وعرفت به الأقدار وتمت به النعم فكان من قضاء الله وقدره أن قربت زياداً وجعلت له بين آل سفيان نسباً ثم وليته أحكام العباد يسفك الدماء بغير حلها ولا حقها ويهتك الحرم بلا مراقبة الله فيها خؤون غشوم كافر ظلوم يتخير من المعاصي أعظمها لا يرى لله وقاراً ولا يظن أن له معاداً وغداً يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما أجترم بين يدي ربك ولك برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة

(٣٢) شرح نهج البلاغة (٣٤/١٧) .

(٣٤) مروج الذهب . ل المسعودي (٣٦١/١) .

(٣٥) العقد الفريد . ل ابن عبد ربه (٣٠/١) .

وبينك وبينه صهر فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت ولا طريقتهم سلكت جعلت
عبد ثقيف على رقاب أمة محمد صلى الله عليه يدبر أمورهم ويسفك دماءهم فماذا
تقول لربك يا معاوية وقد مضى من أجلك أكثره وذهب خيره وبقي وزره إني امرأة
من بني ذكوان وثب زياد المدعي إلى أبي سفيان على ضيعتي ورثتها عن أبي وأمي
فغصبنيها وحال بيني وبينها وقتل من نازعه فيها من رجالي فأنتيتك مستصرخة فإن
أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزياد إلى الله عز وجل فلن تبطل ظلامتي عندك ولا
عنده والمنصف لي منكما حكم عدل فبهت معاوية ينظر إليها متعجباً من كلامها
ثم قال ما لزياد لعن الله زياداً فإنه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها وعلى
مساويه من يثيرها ثم أمر كاتبه بالكتاب إلى زياد يأمره بالخروج إليها من حقها وإلا
صرفه مذموماً مدحوراً ثم أمر لها بعشرين ألف درهم وعجب معاوية وجميع من
حضره من مقالتها وبلوغها حاجتها. (٣٦)

عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) .

أول من انفرد للمظالم وجعل لها يوماً مخصوصاً يجلس فيه للناس وينظر في قصصهم
ويتأملها عبد الملك بن مروان، فكان اذا وقف فيها على مشكل رده الى قاضيه أبي
إدريس الأودي فنقد فيها أحكامه، فكان عبد الملك هو الأمر وأبو إدريس هو
المباشر. (٣٧)

■ عن الزهري أن يهوديا جاء إلى عبد الملك بن مروان فقال له ابن هزمر ظلمي فلم
يلتفت إليه ثم الثانية ثم الثالثة فلم يلتفت إليه فقال له اليهودي إنا نجد في كتاب الله

(٣٦) بلاغات النساء . لطيفور (٩٥) .

(٣٧) الأحكام السلطانية للفراء (٧٥) نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/٢٦٩) .

في التوراة أن الإمام لا يشرك في ظلم ولا جور حتى يرفع إليه فإذا رفع إليه فلم يغير
شرك في الجور والظلم قال ففزع لها عبدالمملك وأرسل إلى ابن هزمر فنزعه . (٣٨)

■ ويروي الجهشياري : أن عبدالمملك بن مروان بلغه أن بعض كتابه قبل هدية ،
فقال له : أقبَلتَ هدية . فقال نعم قَبِلت ، فقال له إن كنت قبلت هديةً لا تنوي
مكافأة المهدي لها إنك ليم دنيٌّ وإن كنت قبلتها تستكفي رجلاً لم تكن تستكفيه
لولاها إنك خائن وإن كنت نويت تعويض المهدي عن هديته وألا تخون له أمانة ولا
تتلم له ديناً فلقد قَبِلتَ ما بَسَطَ عليك لسان مُعامليك وأطمع فيك سائر مُحاوريك
وسَلَبك هيبة سلطانك ، ثم صرفه عن عمله . (٣٩)

الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ) .

ورد على الحجاج بن يوسف سليك بن سلعة^(٤٠) فقال: أصلح الله الأمير، أرعني
سمعك ، واغضض عني بصرك، واكف عني غربك ؛ فإن سمعت خطأ أو زلال
دونك والعقوبة. قال: قل. فقال: عصي عاص من عرض العشيرة؛ فحلّق على اسمي
وهدم منزلي، ومنعت عطائي. قال: هيهات! أو ما سمعت قول الشاعر:

بِجَانِيكَ مِنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ ... تُعَدِي الصَّحَّاحَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ
وَلَرَبِّ مَأْخُودٍ بِذَنْبِ عَشِيرِهِ ... وَبِحَا الْمُقَارِفِ صَاحِبُ الذَّنْبِ

قال: أصلح الله الأمير، إني سمعت الله عز وجل قال غير هذا. قال: وما ذاك؟
قال: قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا
نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا
لَظَالِمُونَ } .

(٣٨) تاريخ دمشق (١٤٢/٣٧) وعزل عبدالمملك بن مروان عامله عن السماوة بعد تظلم أعرابي منه لظلمه في

الصدقات. (الجليس الصالح الكافي ٥٣٦) .

(٣٩) كتاب الوزراء والكتاب . ل الجهشياري (٤٣) .

(٤٠) سليك المذكور ليس هو سليك ابن سلعة الذي ضرب به المثل في العدو، فقيل: "أعدى من السليك"؛ فإن

سليكا العداء جاهلياً، "وهو سليك بن عمرو التميمي" .

فقال الحجاج : عليّ بيزيد بن أبي مسلم. فمثل بين يديه، فقال: افكك لهذا عن اسمه، واضكك له بعطائه، وابن له منزله، ومُر منادياً ينادي: صدق الله وكذب الشاعر. (٤١)

الخليفة سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩ هـ) .

■ ظلم وكلاء رجل من بني أمية له قدر ومنزلة من ملوكهم رجلا من العرب في مال له بالحجاز فخاصم الرجل وكلاء الأموي في ذلك إلى الوالي الذي كان عليهم فمال لهم عليه فقال الرجل لا أرضى إلا بوالي مكة والمدينة فصاروا إليه فكتب الأموي إلى الوالي الذي كانوا ارتفعوا إليه فمال لوكلائه على الرجل أيضا فقال الرجل لا أرضى إلا بأمير المؤمنين وأمير المؤمنين يومئذ سليمان بن عبد الملك فخرج الرجل حتى أتى دمشق فلم يلق أحدا من جلساء سليمان ولا عظيمي من عظماء دمشق إلا كان ميلهم إلى الأموي عليه فطلب الوصول إلى الخليفة فتعذر عليه فطفق يشكو ذلك إلى كل من جلس إليه وأنس به حتى شكا ذلك إلى رجل من بوابي سليمان فرق له البواب وقال له ما يوصلك إليه أحد إلا خصى له أثير عنده ولا يوصلك إليه حتى ترغب له فقال له الرجل فأنا أجعل له مائتي دينار على أن يوصلني إليه خاليا فسفر البواب بينه وبين الخصي حتى فهم الخصي حاجة الرجل وما جعل له من الجعالة وصير البواب أمينا بينهما وجعل الدنانير على يديه على أن الدنانير للخصي إذا وصل الرجل إلى سليمان وكلمه خاليا قضيت حاجته أم لم تقض فأمر الخادم الرجل بلزوم الباب فجعل يغدو فلا يزال ملازما للمال حتى إذا أمسى انصرف إلى رحله فلم يزل كذلك يغدو كل يوم إلى أن دعا سليمان الخصي يوما وأمره أن يأتيه بوضوء فأتاه به فبينا الخادم يصب على سليمان إذ ملأ سليمان يده فضرب بها وجه الخادم فقال الخادم وعرف منه طيب نفس أما هذا فتحسنه وأما أن تعطيني أو تدع من

(٤١) العقد الفريد . ل ابن عبد ربه (٤١/١). البداية والنهاية (٥٢٣/١٢) مرآة الزمان (٨٧/١٠) مختصر تاريخ دمشق . ل ابن منظور (٢٠٩/٦) .

يعطيني فلا فقال له سليمان هل منعت من عطيتك أحدا فقال هذا رجل ببابك قد جعل لي مائتي دينار على أن يكلمك في حاجة له خاليا قضيت الحاجة أم لم تقض فقال له سليمان أدخله فمضى الخادم فأدخله وقام سليمان يصلي ثم قعد يخطر بأصبعه ويدعو فدخل الرجل وسليمان يخطر بأصبعه إلى السماء يدعو الله فقال الرجل حين نظر إلى سليمان في تلك الحال أواه أواه أخطأت موضع حاجتي ثم رجع منصرفا خارجا وانصرف سليمان وقال للخصي أين صاحبك فطلبه فوجده قد خرج وقال للبواب ادفع الدنانير إلى الخادم فإنه قد وفى بما ضمن فطلبه الخادم على الباب فلم يصبه فرجع إلى سليمان فأخبره بذلك فقال سليمان للخادم بساطي عليك محرم أو تجيئني بهذا الرجل فخرج الخادم وثقاته ومن كان يطيف به فتنفروا في طلبه حتى ظفروا به وهو يقود راحلته خارجا من باب من أبواب دمشق متوجها إلى أهله فقال له الخادم ارجع إلى أمير المؤمنين فقد طلبك فقال لا حاجة لي في الرجوع إليه وقد أمرت البواب أن يدفع إليك الدنانير فقال له الخصي لا بد لك من الرجوع إليه فردده على كره منه حتى إذا أدخله إلى سليمان قال له سليمان ألم أخبر أنك جعلت لهذا مائتي دينار على أن يدخلك إلي فقال الرجل قد كان ذلك أصلح الله أمير المؤمنين قال سليمان أفلم أرك حين ملأت عيني منك قال بلى قال فما أخرجك والله إن لك لخبراً قال أجل خبر ضخم العنق إن فلانا ظلمني في أرض لي بالحجاز فاستعدت عليه الوالي علينا وعلى ناحيتنا فمال له علي فلم أرض بذلك واستعدت عليه الوالي الأكبر فمال له علي فلم يرض بذلك وقلت لا أقصر حتى أنتهي إلى أمير المؤمنين فلما قدمت إلى دمشق لم أر بها أحدا يفرع إليه إلا وجدته معه علي فجعلت لخادمك هذا الذي جعلت له علي أن يوصلني إليك فلما أوصلني رأيتك تخطر بأصبعك إلى السماء تطلب من الله حاجتك وتضرع إليه فعقلت بفعلك موضع حاجتي وعلمت إنني قد أخطأت في طلبها ولم آتها من الموضع الذي ينبغي فرجعت أطلبها من الموضع الذي تطلب أنت حاجتك فبكي

سليمان ثم قال إن الذي طلبت إليه حاجتك قد قضاه وأرسل سليمان إلى الأموي في أمره وأمره برد ما يدعي عليه فكتب الأموي له بكل ما أحب وأعطاه أيضا ما يصلح به صنعته وذلك بعدما وصله سليمان وكساه وحمله وأمر له بفرائض . (٤٢)

■ خرج سليمان ومعه عمر إلى البوادي، فأصابه سحاب فيه برق وصواعق، ففزع منه سليمان ومن معه، فقال عمر: إنما هذا صوت نعمة فكيف لو سمعت صوت عذاب؟ فقال سليمان: خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها، فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم . (٤٣)

الخليفة هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ) .

لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدرا ولا أعلى صوتا منه دانت له البلاد وملك جميع العباد وأديت له الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والإفرنج والزنج والسند والهند وكان قريبا من الضعفاء مهتما بإصلاح الأدواء لم يجترىء أحد معه على ظلامة ولم يسلك أحد معه إلا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة يبرز فيه فتضرب له به السراذقات فيكون فيه ستين ليلة بارزا للناس مباحا للخلق لا يفنى أيامه تلك إلا برد المظالم والأخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد وكل رجالاً أدباء عقلاء بإدناء الضعفاء والنساء اليتامى منه وأمرهم بإقصاء أهل القوة والكفاية عنه حتى يأتي على آخر ما يكون من أمره فيما يرفع إليه . (٤٤)

■ ووقع هشام بن عبد الملك في رقعة متظلم من العامة : أتاك الغوث إن كنت صادقا وحل بك النكال إن كنت كاذبا، فتأخر أو تقدم.

(٤٢) تاريخ دمشق (٧٧/٦٨ رقم ٩١٦١) .

(٤٣) الدولة الأموية . ل علي الصلابي (٢٩٦/٣) .

(٤٤) الإمامة والسياسة (٢٨٢/٢) .

وفي قصة قوم شكوا أميرهم: إن صح ما ادّعيتم عليه عزلناه وعاقبناه. (٤٥)

■ قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك، فقدمت وفود العرب من القبائل؛ فجلس هشام لرؤسائهم، فدخلوا عليه وفيهم درباس بن حبيب وله أربع عشرة سنة، عليه شملتان، له ذؤابة، فأحجم القوم وهابوا هشاماً، ف وقعت عين هشام على درباس فاستصغره فقال لحاجبه: ما يشاء أحد يصل إلي إلا قد وصل حتى الصبيان! فعلم درباس أنه يريد، فقال يا أمير المؤمنين، إن دخولي لم يضرك ولا أنقصك ولكنه شرفني، وإن هؤلاء قدموا لأمر فأحجموا دونه؛ وإن الكلام لنشر، وإن السكوت طي لا يعرف إلا بنشره؛ قال: فانشر لا أبالك وأعجبه كلامه. فقال: إنه أصابتنا سنون ثلاث، فسنة أكلت اللحم، وسنة أذابت الشحم، وسنة أنقت العظم؛ وفي أيديكم فضول أموال، فإن كانت لله عز وجل ففرقوها على عباد الله، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها، فإن الله عز وجل يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين .

قال هشام: ما ترك الغلام في واحدة عذراً. ثم أمر أن يقسم في أهل البوادي ثلاث مئة ألف، وأمر لدرباس بمئة ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ارددها إلى جائزة المسلمين فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم؛ قال: فما لك حاجة؟ قال: تقوى الله عز وجل، والعمل بطاعته؛ قال: ثم ماذا؟ قال: مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين. (٤٦)

الخليفة مروان بن محمد المعروف بـ مروان الحمار (ت ١٣٠هـ) .

كتب الخليفة مروان بن محمد إلى القاضي عبدالرحمن بن زياد فقال : « وقد ولّك أمير المؤمنين الحكومة والقضاء بين أهل إفريقية، وأسند إليك أمراً عظيماً وحملك خطباً جسيماً، فيه دماء المسلمين وأموالهم، وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه

(٤٥) العقد الفريد (١٩٥/٤) المحاسن والمساوي (٢١٤) .

(٤٦) مختصر تاريخ دمشق . ل ابن منظور (١٦٥/٨) ربيع الأبرار (٢٢٦/٥) التذكرة الحمدونية (٢٢/٢) .

صلى الله عليه وسلم، والذبّ عن ضعيفهم من قويهم وإنصاف مظلومهم من ظالمهم ، والأخذ من شريفهم بالحق لخاملهم. وقد رجاك أمير المؤمنين لذلك لفقهك وعدلك وخيرك وحسبك وعلمك وتجربتك. فعليك باتقاء الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، وإيثار الحق على ما سواه وليكن جميع الناس قويّهم وضعيفهم في الحق، عندك سواء». (٤٧)

الخليفة عبدالله بن محمد السفاح (ت ١٣٦هـ) .

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أُخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا أثمانها، فوقع: هذا بناءٌ أسّس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيمّ منازلهم إليهم. (٤٨)

الخليفة أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ) .

■ عن محمد بن الحسن بن دريد ثنا أبو الحسن بن خضر عن ابيه قال: أخبرني بعض الهاشميين قال: كنت جالسا عند المنصور بأرمينية وهو أميرها لأخيه ابي العباس وقد جلس للمظالم فدخل عليه رجل فقال: ان لي مظلمة وإني أسألك ان تسمع مني مثلاً أضربُه قبل أن اذكر مظلمتي .

قال قل : قال: ابي وجدت الله تبارك وتعالى خَلَقَ الخلقَ على طبقات فالصبيُّ إذا خرج الى الدنيا لا يعرف الا أمه ولا يطلب غيرها فإذا فزع من شيء لجأ إليها ثم يرتفع عن ذلك طبقة فيعرف أن أباه اعز من أمه فإن أفزعه شيء لجأ الى أبيه ثم يبلغ ويستحكم فإن أفزعه شيء لجأ الى سلطانه فإن ظلمه ظالم انتصر به فإذا ظلمه السلطان لجأ الى ربه واستنصره وقد كنت في هذه الطبقات وقد ظلمني ابن نهيك في ضيعة لي في ولايته فإن نصرني عليه واخذت بمظلمتي وإلا استنصرت الى الله عز وجل ولجأت إليه فانظر لنفسك ايها الامير أو دع .

(٤٧) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية . ل المالكي (١٦٠/١) .

(٤٨) العقد الفريد (٤/١٩٧) .

فتضاءل أبو جعفر وقال: أعد علي الكلام فأعاده فقال: أما أول شيء فقد عزلتُ ابن نهيك عن ناحيته وأمر برد ضيعته . (٤٩)

■ رفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حداً من ضيعته فأضافه إلى ماله فوقع إلى عامله في رقعة المتظلم إن آثرت العدل صحبتك السلامة فأنصف هذا المتظلم من هذه الظلامة . (٥٠)

■ حُكي أن المنصور رضي الله عنه بلغه عن جماعة من كتاب دواوينه زوروا فيه وغيروا، فأمر بإحضارهم وتقديم تأديبهم، فقال: حدث منهم وهو يضرب .

أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ فِي صَلَاحٍ ... وَعِزُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَفْوِكَ نَسْتَجِيرُ فَإِنْ بُجِزْنَا ... فَإِنَّكَ عِصْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ
وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا ... فَهَبْنَا لِلْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ

فأمر بتخليتهم، ووصل الفتى وأحسن إليه؛ لأنه ظهرت منه الأمانة وبانت فيه النجابة . (٥١)

■ كتب إلى المنصور عامله على إرمينية يخبره أن الجند شغبوا عليه ونهبوا ما في بيت المال ، فوقع في كتابه : اعتزل عملنا مذموماً مدحوراً ، فلو عقلت لم يشغبوا، ولو قويت لم ينهبوا. (٥٢)

■ وكان أبو جعفر المنصور يقول: ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم، هم أركان الدولة ولا يصلح الملك إلا بهم، أما أحدهم فقاضي لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من

(٤٩) نواذر الرسائل (٢١) .

(٥٠) تاريخ الطبري (٥٣٧/٤) .

(٥١) الأحكام السلطانية . ل الماوردي (١٣٦) .

(٥٢) الإدارة الإسلامية في عز العرب . ل محمد كرد علي (١١٠) .

القوي، والثالث صاحب خراجٍ يستقصي ولا يظلم الرعية وصاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة. (٥٣)

■ لما قدم المنصور حاجاً كان محمد بن عمران الطلحي يتقلد قضاء المدينة فاستعدى عليه الحمالون فحضر المنصور مجلس الحكم ف قضى عليه للحمالين وأمره بإنصافهم فسر الخليفة بالحكم عليه وقال للقاضي جزاك الله عن دينك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء . (٥٤)

■ وحذر أبو جعفر المنصور في خطبة له بمدينة السلام سنة (١٥٢هـ) فقال يا عباد الله لا تظالموا فإنها مظلمة يوم القيامة والله لولا يد خاطئة وظلم ظالم لمشيت بين أظهركم في أسواقكم ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر مني لأتيته حتى أدفعه إليه . (٥٥)

■ قال المنصور لابنه المهدي : يا أبا عبد الله، الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه. (٥٦)

الخليفة محمد بن عبد الله المهدي (ت ١٦٩هـ) . (٥٧)

■ كان المهديّ شهماً فظننا كريماً شديداً على أهل الإلحاد والزندقة. وكان يجلس في كل وقت لردّ المظالم. (٥٨)

(٥٣) الكامل في التاريخ (٢٠١/٥ سنة ١٥٨هـ) .

(٥٤) كتاب الوزراء والكتاب . ل الجهشيارى (١٣٧) ديوان المظالم . ل د. حمدي عبدالمنعم (٧٩) .

(٥٥) تاريخ الطبري (٥٣٢/٤) .

(٥٦) تاريخ الخلفاء . ل السيوطي (١٩٦) .

(٥٧) عن أبي عبيدة قال : كان المهدي يصلي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يوماً

فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين لست على طهرٍ وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء ينتظروني، فقال: انتظروه رحمكم الله ودخل المحراب ووقف إلى أن قيل له قد جاء الرجل فكبر فتعجب الناس من سماحة أخلاقه (المنتظم

. (٢١٤/٨)

(٥٨) الفخري في الآداب السلطانية (١٧٦) .

■ قال المقدسي : فكان - المهدي - كما سمي هادياً مهدياً رد المظالم وشهد الصلوات في جماعة وفرق خزائن المنصور في سبل الخير . (٥٩)

■ وكان المهدي إذا جلس للمظالم قال: أدخلوا عليّ القضاة، فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم لكفى!. (٦٠)

■ قال المسور بن مساور ظلمي وكيل المهدي وغصبي ضيعة لي - فأتيت سلاماً - صاحب المظالم وأعطيته رقعة مكتوبة فأوصلها للمهدي وعنده عمه العباس بن محمد وابن علاثة وعافية القاضي فأمر المهدي بإدخاله وسأله عن مظلمته فأخبره بها فقال له ترضى بأحد هذين فقال تكلم فقال مساور أصلح الله القاضي إن هذا ظلمي في ضيعتي وأشار إلى المهدي فقال القاضي ما تقول يا أمير المؤمنين قال ضيعتي في يدي فقال مساور أصلح الله القاضي سله صارت إليه الضيعة قبل الخلافة أو بعدها فقال المهدي بعد الخلافة فقال القاضي أطلقها له قال قد فعلت . (٦١)

■ وكان المهدي يجلس للمظالم وتدخل القصص عليه فارتشى بعض أصحابه بتقديم بعضها فاتخذ بيتاً له شبك حديد على الطريق تطرح فيه القصص وكان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده من القصص أولاً فأول فينظر فيه فلا يقدم بعضها على بعض . (٦٢)

■ قال أبو عمرو الشعافي : صلينا مع المهدي المغرب ومعنا العوفي، وكان من مظالم المهدي، فلما انصرف المهدي من المغرب جاء العوفي حتى قعد في قبلته، فقام

(٥٩) البدء والتاريخ . ل المقدسي (٩٥/٦) ولما استخرج - المهدي - من في السجون، ف قيل له: إنما تزري على أبيك، فقال: لا أزري، ولكن أبي حبس بالذنب، وأنا أعفو عنه (نثر الدرر . ل الآبي ٦٣/٣) .

(٦٠) الفخري في الآداب السلطانية (١٧٦) .

(٦١) تاريخ الدولة العباسية . محمد الحضري بك (٩٣) .

(٦٢) تاريخ الدولة العباسية . محمد الحضري بك (٨٨) .

يتنفل، فجذب ثوبه فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: شَيْءٌ أَوْلَى بِكَ مِنَ النَّافِلَةِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: سَلَامٌ مَوْلَاكَ، قَالَ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ: أَوْطَأُ قَوْمَا الْخَيْلِ وَغَضِبَهُمْ عَلَى ضِيْعَتِهِمْ وَقَدْ صَحَّ ذَلِكَ عِنْدِي تَأْمُرُ بِرَدِّهَا وَتَبْعَثُ مِنْ يَخْرِجُهُمْ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: حَتَّى نَصْبِحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ الْعَوْفِيُّ: لَا إِلَّا السَّاعَةَ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: يَا فُلَانُ الْقَائِدُ، اذْهَبِ السَّاعَةَ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا فَأَخْرِجْ مِنْ فِيهَا وَسَلِّمْ الضَّيْعَةَ إِلَى فُلَانٍ. قَالَ: فَمَا أَصْبَحُوا حَتَّى رَدَّتِ الضَّيْعَةَ عَلَى صَاحِبِهَا. (٦٣)

الخليفة موسى بن محمد الهادي (ت ١٧٠هـ).

■ حُكِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ مُوسَى بْنَ مُحَمَّدٍ الْهَادِيَّ "رَكِبَ يَوْمًا يَرِيدُ عِيَادَةَ أُمِّهِ الْخَيْزِرَانَ مِنْ عِلَّةٍ كَانَتْ وَجَدَتْهَا، فَاعْتَرَضَهُ عَمْرُ بْنُ بَزِيعٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى وَجْهِهِ هُوَ أَعُوذُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: مَا هُوَ يَا عَمْرُ؟ قَالَ: الْمَظَالِمُ، لَمْ تَنْظُرْ فِيهَا مِنْذُ ثَلَاثٍ. قَالَ: فَأَوْمَأَ إِلَى الْمَطْرِقَةِ (حِرَاسَتِهِ وَجَنْدِهِ) أَنْ يَمِيلُوا إِلَى دَارِ الْمَظَالِمِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْخَيْزِرَانَ بِخَادِمٍ مِنْ خِدْمَتِهِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا مِنْ تَخْلُفِهِ، وَقَالَ: قَلِّ لَهَا: إِنْ عَمْرُ بْنُ بَزِيعٍ أَخْبَرْنَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ بِمَا هُوَ أَوْجِبَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّكَ، فَمَلْنَا إِلَيْهِ، وَنَحْنُ عَائِدُونَ إِلَيْكَ فِي غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ". (٦٤)

■ حُكِيَ عَنِ مُوسَى الْهَادِيَّ أَنَّهُ جَلَسَ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ وَعِمَارَةُ بْنُ حَمَزَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ فِي مَنْزِلٍ، فَحَضَرَ رَجُلٌ فِي جَمَلَةٍ الْمُتَظَلِّمِينَ يَدْعِي أَنْ عِمَارَةُ غَضِبَ ضَيْعَةَ لَهُ، فَأَمَرَهُ الْهَادِيُّ بِالْجُلُوسِ مَعَهُ لِلْمَحَاكِمَةِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَتِ الضَّيْعَةُ لَهُ فَمَا أَعَارَضَهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ لِي فَقَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ، وَمَا أُبَيِّعُ مَوْضِعِي مِنْ مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. (٦٥)

(٦٣) المنتظم . ل الجوزي (٢١٥/٨) .

(٦٤) تاريخ الطبري (٤/٦١٠ سنة ١٧٠هـ) وروى أنه جلس للمظالم وأمر أن يؤذن للناس بالجفلى لا بالنقري أي بالعموم لا بالخصوص. (روضة القضاة ٤/١٥٠٤) .

(٦٥) الأحكام السلطانية . ل الماوردي (١٤٧) .

■ سمع الهادي ذات يوم رجلاً يصيح في الليل قائلاً .
قل للخليفة حاتمٌ لك خائن ... فحف الإله وأعفنا من حاتم
إن العفيف إذا استعان بخائن ... كان العفيف شريكه في المأثم
ولما أراد الهادي معرفة الرجل ليستفسر منه عمّن ظلمه لم يجد ، فعزل كل عامل له
يُدعى حاتماً . (٦٦)

الوزير جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧هـ) .

ذكرت الأخبار أن جعفر بن يحيى البرمكي تولى ديوان رئاسة المظالم في عهد هارون
الرشيد وأنه فصل في يوم واحد ألف قضية ، ثم أُخرجت فعرضت على العمال
والقضاة والكتاب وكتاب الدواوين ، فما وجد فيها شيء مكرر ، ولا شيء يخالف
الحق . (٦٧)

الخليفة هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ) .

كان أشد الملوك بحثاً عن أسرار رعيته، وأكثرهم بها عنايةً، وأحزمهم فيها أمراً. (٦٨)
ولهذا كانت أيامه كلها نضرة مخصبة ، والناس فيها في خير ، والأرزاق دارة ، والعدل
فائض على الناس في أطراف البلاد . (٦٩)
وإهتم هارون الرشيد بالمظالم وكان يجلس لها في كثير من الأحيان تنفيذاً للنصيحة
التي وجهها إليه قاضي قضاته أبو يوسف صاحب كتاب الخراج إذ قال :
إن العدل وإنصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما في ذلك من الأجر يزيد به الخراج
وتكثر به عمارة البلاد والبركة مع العدل تكون ، وهي تفقد مع الجور، والخراج
المأخوذ مع الجور تنقص البلاد به وتخرب. هذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى

(٦٦) مختصر التاريخ . ل الكازروني (١٢١) تاريخ الخلفاء . ل السيوطي ٢٦٧ وعزا السيوطي الحادثة للمهدي (ولاية

المظالم في العصر العباسي . ل أجد الفاعوري (٧٦) . والله أعلم .

(٦٧) كتاب الوزراء والكتاب . ل الجهشياري (٢٠٤) .

(٦٨) التاج في أخلاق الملوك . ل الجاحظ (١٧٠) .

(٦٩) العيون والحداثق (٣/٣١٩) ولاية المظالم في العصر العباسي . ل أجد الفاعوري (٧٦) .

عنه كان يجبي السواد مع عدله في أهل الخراج وإنصافه لهم ورفع الظلم عنهم مائة ألف ألف، والدرهم إذ ذاك وزنه وزن المثقال.

فلو تقربت إلى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلساً واحداً تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوت أن لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيتهم، ولعلك لا تجلس إلا مجلساً أو مجلسين حتى يسير ذلك في الأمصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه؛ فلا يجترئ على الظلم ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه؛ فإن لم يمكنك الاستماع في المجلس الذي تجلسه من كل من حضر من المتظلمين نظرت في أمر طائفة منهم في أول مجلس وفي أمر طائفة أخرى في المجلس الثاني، وكذلك في المجلس الثالث، ولا تقدم في ذلك إنساناً على إنسان، من خرجت قصته أولاً دعي أولاً وكذلك من بعده.

مع أنه متى علم العمال والولاة أنك تجلس للنظر في أمور الناس يوماً في السنة ليس يوماً في الشهر تناهوا بإذن الله عن الظلم وأنصفوا من أنفسهم، وإني لأرجو لك بذلك أعظم الثواب، أنه من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة. (٧٠)

■ حُكي أن نصرانيا ادعى أمام أبو يوسف القاضي أن هارون الرشيد قد ظلمه بأن غصب ضيعة له فدعاه أبو يوسف فدخل فقراً أبو يوسف الشكوى على أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال : هذه الضيعة لنا ورثناها عن المنصور .
فقلت للنصراني : قد سمعت أفلك بينة قال لا ولكن حلفه . فقلت : الحلف يا أمير المؤمنين قال : نعم فحلف وذهب النصراني . (٧١)

(٧٠) الخراج . لأبي يوسف (١١١) .

(٧١) الفروق في الفروع في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان (٣٥) .

■ كان الرشيد إذا أحس من عامل له خيانة دبر له من صائب رأيه ما يدل على شدة غيرته على مصلحة ملكه فقد عزل علي بن عيسى عن خراسان وكتب إليه . (..... لقد عُثت في الأرض ، وظلمت الرعية، وأسخطت الله وخليفته، بسوء سيرتك، ورداءة طُعمتك، وظاهر خيانتك، وقد وليت هرثمة ابن أعين مولاي ثغر خراسان وأمرته أن يشدد وطأته عليك، وعلى ولدك وكتابك وعمالك، ولا يترك وراء ظهوركم درهماً ولا حقاً لمسلم ولا معاهد إلا أخذكم به، حتى ترده إلى أهله، فإن أبيت ذلك وأباه ولدك وعمالك، فله أن يبسط عليكم العذاب، ويصب عليكم السياط، ويحل بكم ما يحل بمن نكث وغير، وبدل وخالف، وظلم وتعدى وغشم، انتقاماً لله عز وجل بادئاً، ولخليفته ثانيًا، وللمسلمين والمعاهدين ثالثًا، فلا تعرض نفسك للتي لا سوى لها، واخرج مما يلزمك طائعا أو مكرهاً) . (٧٢)

■ قال الأصمعي : كنت عند أمير المؤمنين الرشيد ومعنا سعيد بن سلم، فلما كان نحو نصف النهار انصرفا، فإذا نحن بيهوديين ضريرين، أحدهما يقود صاحبه، وقال أحدهما للآخر - وليس يعلم أن أحداً يسمع كلامهما - : ويحك قد أقرح سندي الحرسى قلوب الخلق، فقل معي: يا حليم ذو أناء، لا تعجل على الخطئين وإنما تؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، لا طاقة لنا بسعة حلمك عن سندي الحرسى، وأنت العليم الحكيم.

قال الأصمعي: فقلت لسعيد: هل سمعت؟ قال: قد سمعت. قال الأصمعي: فلما وصلت إلى منزلي رميت بثيابي لأستريح، فإذا رسول الخليفة يدعوني إليه فراعني ذلك، وصرت مع الرسول فإذا هو جالسٌ في مجلسه ذلك فقال لي: لا ترع، إنكم لما نهضتم غفوت فإذا قائلٌ يقول لي: اعزل سندي الحرسى عن رقاب الناس، وسل الأصمعي عما سمع. قال: فحدثته الحديث فظهر عليه من الخشوع والجزع شيءٌ عظيمٌ، وعلم أنها دعوةٌ استجيبت من وقتها، وبعث فأشخص الحرسى

(٧٢) الإسلام والحضارة العربية . ل محمد كرد علي (٥١٧) .

فضربه ألف سوطٍ، ثم أخذ صفة اليهوديين وأمر بطلبهما ببغداد كلها ومسألة اليهود عنهما فلم يعرفا. (٧٣)

■ رفع أهل السواد إلى هارون الرشيد أن الجراد أتى على غلاتهم : فكتب : ليس من المروءة أن تكونوا بضيافة الجراد أولى منا ، وقد أمرنا بأن يُحط عنكم نصف خراجكم . (٧٤)

الخليفة الأمين محمد بن هارون (ت ١٩٨ هـ) .

جاء على لسان الفضل بن الربيع إلى جلوس الخليفة الأمين للمظالم قائلاً : قعد يوماً على فرش لبود ، وعليه مبطنة وقلنسوة وشيء وطيلسان أزرق . فأمر ونهى ووقع في نحو ثمانية وأربعين توقيعاً بأجزل الكلام ، ويقول الفضل مسترسلاً : فوالله لقد أصاب فما أخطأ ، وأسرع فما أبطأ . ولقد عُرضت على أولى الدواوين والفقهاء فما وجدوه خالف حكماً في قضية واحدة منها . وبعد انفضاض مجلس المظالم قال الأمين للفضل : اتراني لا أحسن الأمر والنهي فأجابه الفضل : يأمر المؤمنين ، والله رأيت من بلاغتك ومعرفتك بالأحكام ما رأيت في أمير المؤمنين الرشيد . (٧٥)

القاضي محمد بن بشير المعافري (ت ١٩٨ هـ) .

والخليفة الحكم هشام بن عبدالرحمن الداخل الأموي (ت ٢٠٦ هـ) .

رُفِعَ إليه - أي محمد بن بشير - رجل من أهل كورة جيان أن عاملاً للحكم بن هشام اغتصبه جارية، وصيرها إلى الحكم؛ فوقع من قلب الحكم كل موقع؛ فأثبت الرجل أمره عند القاضي، وأتاه بينة تشهد على معرفة ما تظلم منه وبملكه للجارية وبمعرفتهم بها. فأوجبت السُنَّةُ أن تحضَرَ الجارية؛ فاستأذن القاضي على

(٧٣) منتقى من أخبار الأصمعي (١٥٩ رقم ٩١) .

(٧٤) مرآت المروءات . ل. التعالي (٦٨ رقم ١٥٠) .

(٧٥) تاريخ العباسيين . ل. ابن وادان (٢٠٨) العقد الفريد (١٢٨/٨) ولاية المظالم في العصر العباسي (٨٢) .

الحكم؛ فأذن له؛ فلما دخل عليه، قال له: أيها الأمير! أنه لا يتم عدل في العامة دون إقامته في الخاصة! وحكى له أمر الجارية، وخيره بين إبرازها للبينة ليشهد على عينها، أو عزله. فقال له الحكم: أولاً أدعوك إلى خير من ذلك! تبتاع الجارية من صاحبها بأبلغ ما يطلب فيها فقال القاضي: إن الشهود قد شهدوا من كورة جيان، وأتى الرجل يطلب الحق في مظامه؛ فلما صار ببابك، تصرفه دون إنفاذ الحق له؛ ولعل قائلاً يقول: باع ما لا يملك بيع مقهور! فلما رأى عزمه على ذلك، أمر بإخراج الجارية من قصره؛ فشهد الشهود عنده على عينها، وقضى بها لصاحبها. (٧٦)

■ قال الخشني : ذكر عن بعض الخاصة : أن كريمةً من كرائم (الحكم بن هشام) ذكرت : أن الحكم قام عنها ليلاً ، فساء به ظنُّها : على ما يتوهمُ النساء ويسبق إليهن من وجه الغيرة . قالت : فقفوت أثره فوجدته في بعض الأماكن يصلي ويدعو قالت فلما انصرف أعلمته ، بما ظننتُ وبما فعلتُ وبما رأيتُه عليه من الصلاة والدعاء . قالت : فقال لي : كنتُ قد قلدتُ محمد بن بشير القضاء بين المسلمين ، فكانت نفسي عليه طيبةً ، وقلبي واثقاً وكنت مستريحاً من أخبار الناس وظلاماتهم لما علمت من عدله وثقته حتى أعلمتُ في هذه العشيّة : أنه في السّياق وأن الموت قد حضره . فقلقت لذلك واغتممت وقمتُ في هذه الساعة أدعو الله وأبتهلُ إليه : أن يوفق لي رجلاً يكونُ عوضاً منه : تسكن إليه نفسي فأوليه قضاء المسلمين بعدهُ . (٧٧) رحمهم الله جميعاً.

القاضي المصعب بن عمران الهمداني (ت ٢٠٤ هـ) .

ذكر الخشني : أن العباس بن عبدالله المرواني غضب ضيعة من رجل بجيان وتوفي الرجل وترك أطفالاً فلما بلغوا وانتهى إليهم عدل القاضي مصعب بن عمران :

(٧٦) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (٢/٧٨) .

(٧٧) قضاة قرطبة . للخشني (٥٩) .

قدموا قرطبة وأنخوا إليه مظلمتهم وأثبتوها عنده فبعث القاضي إلى العباس وأعلمه ما ذكره القوم وعرفه بالشهود عليه وأباح له الدفع وضرب له أجلاً بعد أجل فلما انقضت الآجال وعجز عن الدفع وأعلمه أنه سينفذ الحكم عليه فدخل العباس على الأمير الحكم وسأله أن يوصي إلى القاضي بالتخلي عن النظر وأن يكون الأمير الناظر بينه وبين خصمه فدعا الأمير بفتى له يسمى (بزنت) وأوصاه إلى مصعب بن عمران بأن يتخلى عن النظر فلما أدى الفتى الوصية قال له مصعب إن القوم قد أثبتوا حقهم ولزمهم في ذلك عناء طويل ونصب شديد لبعدهم مكائهم وقد ثبتت دعواهم ولست أتخلى عن النظر حتى أحكم لهم فلم يعرض الأمير للقاضي ونفذ حكمه . (٧٨)

الخليفة المأمون عبدالله بن هارون الرشيد (ت ٢١٨هـ) .

■ ذكر صاحب (العقد الفريد) قصةً للمأمون : أنه جلس يوماً لردّ المظالم ، فكان آخر من تقدم إليه - وقد همّ بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى ابن أكتهم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك. فقالت:

يا خيرَ منتصفٍ يُهدى به الرَّشْدُ... ويا إماماً به قد أشرق البلدُ
تشكو إليك عميدَ القومِ أرملةً... عدي عليها فلم يُترك لها سببُ
وابتزَّ منِّي ضياعي بعد مَنعتها... ظلما وفرَّق مني الأهل والولد
فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلت زال الصبر والجلد ... عني وأقرح منِّي القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي ... وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
والجلس السبب إن يقض الجلوس لنا ... ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

(٧٨) قضاة قرطبة . ل الحشني (٤٣ رقم ٢٠) تاريخ قضاة الأندلس . ل النباهي (٦٦) .

قال: فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدّم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟

فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين. وأومأت إلى العباس ابنه. فقال: يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم. فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير، فاحفضي من صوتك. فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها وأخرسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وظلم العباس بظلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يوغر لها ضيعتها ويحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة. (٧٩)

■ خرج الخليفة المأمون يوماً من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصريّ: يا أمير المؤمنين إني تزوجت بامرأة من آل زياد وإن أبا الرازي فرّق بيننا وقال هي امرأة من قريش. قال: فأمر عمرو بن مسعدة فكتب إلى أبي الرازي: إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادية وخلعك إياها إذ كانت من قريش، فمتى تحاكت إليك العرب لا أم لك في أنسابها، ومتى وكلتك قريش يا ابن اللخناء بأن تُلصق بها من ليس منها؟ فخلّ بين الرجل وامرأته. (٨٠)

■ ركب المأمون يوماً بالشماسية وخلف ظهره أحمد بن هشام، فصاح به رجل من أهل فارس: الله الله يا أمير المؤمنين! فإن أحمد بن هشام ظلمني واعتدى عليّ! فقال: كن بالباب حتى أرجع فأنظر في أمرك. فلما مضى التفت إلى أحمد بن هشام فقال: ما يؤمنك منا أن نوقفك وصاحبك هذا على رؤوس هذه الجماعة وتقعّد مع خصمك حيث يقعد ثم يكون محقّقاً وتكون

(٧٩) العقد الفريد (٣٩/١) الأحكام السلطانية. ل. الماوردى (١٣٩).

(٨٠) المحاسن والمساوى (٢١٢) أمراء البيان. ل. محمد كرد علي (١٧٧).

مبطلاً! فكيف إن كنت في صفته وكان في صفتك؟ فوجه إليه من يحوله عن بابنا إلى رحلك وأنصفه من نفسك وأعطه ما أنفق في طريقه إلينا، ولا تجعل لنا ذريعة إلى لائمتك، فوالله لو ظلمت العباس ابني كان أهون عليّ من ظلمك ضعيفاً لا يجديني في كل وقت ولا يخلو له وجهي، ولا سيما من كان يتجشم السفر البعيد ويكابد حر الهواجر وطول المسافة. قال: فوجه إليه أحمد بن هشام فحوّله إلى مضربه وكتب إلى عامله برّد ما أخذ منه، ووصل الرجل بأربعة آلاف درهم. (٨١)

■ وقع المأمون في رقعة رجل من العامة تظلم من عليّ بن هشام: يا أبا الحسن الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فاعلمي أي الرجلين أنت. (٨٢)

■ وقال عمرو بن مسعدة: كتبت إلى عامل دستي كتاباً أطلته فأخذه المأمون من يدي وكتب: قد كثر شاكوك فيما عدلت وإما اعتزلت. (٨٣)

■ ووقع المأمون في رقعة رجل تظلم من الرستميّ: ليس من البر أن تكون آنتك ذهباً وقدورك فضة وجارك يطوي وغريمك يعوي. (٨٤)

■ وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي: قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلّقتك، فأما ظلمك للرعية فإننا لا نحتمله. (٨٥)

الخليفة محمد بن هارون المعتصم بالله (ت ٢٢٧هـ) .

■ انصرف - المعتصم - يوماً من دار المأمون إلى داره، وكان شارع الميدان منتظماً بالحميم، فيها الجند، فمر المعتصم بامرأة تبكي، وتقول: ابني ابني؛ وإذا بعض الجند

(٨١) كتاب بغداد . ل طيفور (٥٩) المحاسن والمساوئ (٢١٢) .

(٨٢) المحاسن والمساوئ (٢١٤) .

(٨٣) المحاسن والمساوئ (٢١٤) خاص الخاص . ل الثعالي (٨٨) وعزاه إلى أبي جعفر المنصور وفي العقد الفريد ٢٠٦/٤ عزاه إلى جعفر بن يحيى والله أعلم .

(٨٤) المحاسن والمساوئ (٢١٤) .

(٨٥) العقد الفريد (٢٠٣/٤) .

قد أخذ ابنها؛ فدعاه المعتصم وأمره أن يرد ابنها عليها؛ فأبى، فاستدناه فدنا منه فقبض عليه بيده، فسمع صوت عظامه، ثم أطلقه من يده، فسقط، وأمر بإخراج الصبي إلى أمه. (٨٦)

■ صد الوزير الفضل بن مروان الشاعر الهيثم بن فراس عندما تظلم إليه من بعض العمال بما دفع الهيثم أن يهجوهم قائلاً :

تَفَرَعَنْتَ يَا فَضْلَ بْنَ مَرْوَانَ فَاغْتَبِرْ :: فَقَبْلَكَ كَانَ الْفَضْلُ وَالْفَضْلُ وَالْفَضْلُ^(٨٧)
ثَلَاثَةٌ أَمْلاكَ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ :: أَبَادَتْهُمْ الْأَقْيَادُ وَالذُّلُّ وَالْقَتْلُ .

ولما سمع المعتصم بذلك قبض على وزيره الفضل وصادره ، ولما شفع له بعض أصحابه عنده رفض شفاعتهم قائلاً : إن الفضل اسخط الله وأرضاني فسلطني عليه (٨٨) .

الأمير عبد الله بن طاهر الخزاعي (ت ٢٣٠هـ) .

يذكر أن رجلاً ورد هراة فرفع قصة إلى عبد الله بن طاهر، فلما قدم بين يديه قال: من خصمك؟ قال: الأمير أيده الله، قال: ما الذي تدعي علي؟ قال: ضيعة لي بهراة غصبتها والد الأمير وهي اليوم في يده. قال: ألك بينة؟ قال: إنما تقام البينة بعد الحكومة إلى القاضي، فإن رأى الأمير أن يحملني وإياه على حكم الإسلام. قال: فدعى عبد الله بن طاهر بالقاضي نصر بن زياد، ثم قال للرجل: ادعي. قال: فادعى الرجل مرة بعد مرة، فلم يلتفت إليه نصر بن زياد، ولم يسمع دعواه، فعلم الأمير أنه قد امتنع من سماع الدعوى قال: حتى يجلس الخصم والمدعي، فقام عبد الله بن طاهر من مجلسه، حتى بلغ مع خصمه بين يديه، فقال نصر للمدعي:

(٨٦) مختصر تاريخ دمشق . ل ابن منظور (٣١٧/٢٣) .

(٨٧) الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ ، وَالْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ الْحَاجِبُ ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلِ السَّرْحَسِيِّ .

(٨٨) السير (٨٤/١٢) الفخري (٢٣١) ولاية المظالم في العصر العباسي . ل أحمد الفاعوري (٧٦) .

ادعي، فَقَالَ: أيد الله القاضي إن ضيعة لي بهراة، وذكرها بحدودها وحقوقها، هي لي في يد الأمير، فَقَالَ لَهُ الأمير عبد الله بن طاهر: أيها الرجل، قد غيّرت الدعوى، إنما ادعيت أولاً على أبي، فَقَالَ لَهُ الرجل: لم أشته أن أفضح والد الأمير في مجلس الحكم، وأقول والد الأمير غصبي عَلَيْهَا، وأنها اليوم في يد الأمير، فسأل نصر بن زياد عبد الله بن طاهر عن دعواه، فَأَنكَر، فالتفت إلى الرجل وقال: ألك بينة؟ قَالَ: لا. قَالَ: فما الذي تريده؟ قَالَ: يمين الأمير بالله الذي لا إله إلا هو. قَالَ: فقام الأمير إلى مكانه وأمر الكاتب ليكتب إلى هراة برد الضيعة عَلَيْهِ. (٨٩)

الخليفة الواثق بالله هارون بن محمد (ت ٢٣٢ هـ).

ذكر القلعي: أن - الواثق - كان يجلس للمظالم فيكون غايته إنصاف الناس والإحسان إليهم ودفع الظلم عنهم ورد حقوقهم إليهم فإذا فعل من ذلك شيئاً حمد الله على ما وفقه وأجرى على يديه من الإنصاف وكان الوزير ابن الزيات ربما تكلم عند تظلم المتظلمين بما يريد أن يدافعهم به الواثق النصيحة الإشفاق فينتهزه ويؤنبه ويحذره الظلم. (٩٠)

القاضي سوار بن عبد الله العبزي البصري (ت ٢٤٥ هـ).

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله القاضي البصرة انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها إلى القائد، فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر، فلست أخرجها من يده إلا ببينة، فكتب إليه المنصور: والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد، فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق، فلما جاءه الكتاب قال: ملأتها والله عدلاً، وصار قضاتي تردني إلى الحق. (٩١)

(٨٩) المنتظم (٢٤٨/١١) مختصر دمشق. ل ابن منظور (٢٧٤/١٢).

(٩٠) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة. ل القلعي (٣٨٥).

(٩١) تاريخ الخلفاء. ل السيوطي (١٩٧).

■ الأمير عنبسة بن إسحاق بن شمر بن عبيد (ت ٢٤٦هـ) .
 أمير من قواد بني العباس من أهل البصرة. ولاة المأمون إمرة الرقة مدة.
 ثم ولاة المنتصر مصر سنة (٢٣٨هـ) فقدمها وحمدت سيرته.
 قال ابن تغري بردي: ولما ولي مصر أنصف الناس غاية الإنصاف.
 وقال ابن حزم: " لم يل مصر لبني العباس مثله. كان من أعدل الناس، يتَّهم بمذهب
 الخوارج لشدة عدله وتحرّيه للحق، وهو آخر عربي ولي مصر، وآخر أمير صلى
 بالناس وخطب .
 وقال الكندي : وأخذ عنبسة العُمَّال برّد المظالم وأقامهم للناس، وأنصف منهم،
 وظهر بالحواف من العدل ما لم يُسمع بمثله في زمانه . (٩٢)

الخليفة محمد المهدي بالله (ت ٢٥٦هـ) .

كان المهدي من أحسن الخلفاء مذهبا وأجملهم طريقة وسيرة، وأظهرهم ورعا،
 وأكثرهم عبادة، كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز، ويقول: إنّي أستحي أن يكون في
 بني أمية مثله، ولا يكون مثله في بني العباس، وكان يجلس للمظالم فيحكم حكما
 يرتضيه الناس . (٩٣)

■ قال صالح بن عليّ الهاشميّ : حضرت مجلس المهدي وهو ينظر في المظالم،
 فجعلت أنظر إلى المتظلمين، القويّ والضعيف، والشريف والوضيع، منهم ما قرأ
 قصّته عليه حتى تستوفى ثم يأمر بالتوقيع فيها بما يرى، لا يعدل عن الحقّ والإنصاف
 ، وما فيه للمتظلم المقنع وزيادة؛ فينشأ الكتاب على التوقيع من ساعته، ويحرّر
 ويعلم عليه، ويردّ إليه فيختمه، ويدفع إلى صاحبه. فأعجبني ذلك جدّا، ورأيت
 شيئا حسنا لم أراه قبله. (٩٤)

(٩٢) الأعلام . ل الزركلي (٩١/٥) كتاب الولاة وكتاب القضاة . للكندي (١٥١) النجوم الزاهرة (٢/٢٩٤) .

(٩٣) الفخري في الآداب السلطانية . ل ابن الطقطقي (٢٤٢) الكامل في التاريخ (٦/٢٨٧) .

(٩٤) التذكرة الحمدونية (٩/٢٥١) مروج الذهب (٢/١٢١) .

■ وقال المسعودي : بنى المهتدي قبة لها أربعة أبواب، وسماها قبة المظالم، وجلس فيها للعام والخاص للمظالم .^(٩٥)

■ وكان المهتدي : إذا جلس للمظالم أمر بأن توضع كوانين الفحم في الأروقة والمنازل عند تحرك البرد، فإذا دخل المتظلم أمر بأن يديء ويجلس ليسكن ويثوب إليه عقله ويتذكر حجته ثم يدينه ويسمع منه، ويقول: كيف يدلي المتظلم بحجته إذا لم يفعل به هذا وقد تداخلته رهبة الخلافة وألم البرد .^(٩٦)

■ ذكر ابن الجوزي عن عبد الله بن إبراهيم الإسكافي قَالَ : حضرت مجلس المهتدي بالله، وقد جلس للمظالم، فاستعداه رجل على ابن له، فأمر بإحضاره، فأحضر وأقامه إلى جنب الرجل، فسأله عما ادعاه عليه فأقر به، فأمره بالخروج إليه من حقه، فكتب له بذلك كتابا، فلما فرغ قَالَ له الرجل: والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قَالَ الشاعر:

حكمتموه فقضى بينكم :: أبلج مثل القمر الزاهر

لا يقبل الرشوة في حكمه :: ولا يبالي غبن الخاسر

فقال له المهتدي : أما أنت أيها الرجل فجزاك الله خيراً ، وأما أنا فما جلست هذا المجلس حتى قرأت في المصحف { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } فما رأيت باكيا أكثر من بكائه ذلك اليوم .^(٩٧)

^(٩٥) مروج الذهب (١١٦/٢) .

^(٩٦) المحاسن والمساوي (٢٣٠) .

^(٩٧) المنتظم . ل ابن الجوزي (٨٤/١٢) نثر الدرر . ل الآبي (٩٤/٣) الكامل في التاريخ (٦/٢٨٧ سنة ٢٥٦هـ) .

الأمير أبو العباس أحمد بن طولون (ت ٢٧٠هـ) .

■ قال ابن حجر : وكان أحمد قد داوم النظر في المظالم، حتى استغنى الناس عن الشرطيين وعن القاضي حتى كان القاضي بَكَار بن قُتَيْبَةَ ربما نعس في مجلسه واتكأ، ثم انصرف إلى منزله ولم يتقدم إليه اثنان. (٩٨)

■ ومن قضاء أحمد بن طولون في المظالم أنه كان يعود أحد كبار الدولة في مرضه ويُدعى معمر الجوهري فسمع امرأة تناديه من خارج البيت متظلمة (أنا بالله وبالأمير) فأمر بإحضارها وسألها عن مظلمتها فقالت إن لها نصف دار تسترها وتعيش فيها فاشتري معمر من شريكها وكدها أن تبيعه النصف الذي لها حتى تكتمل له الدار فامتنعت وهي في كده لها ومطالبته إياها بالبيع وتخوينها منه في أمر قد عذبها وحيرها فأكفهر وجه بن طولون وقال لمعمر ما تقول فيما قالت هذه المرأة فقال معمر جميع ما أملكه صدقة إن كنت أعرف شيئاً مما ذكرته فقالت المرأة وكيلك فلان هو الذي يُعنتني ويؤذني وطلب في الوقت فلم يوجد فقام أحمد بن طولون وقال له أنصفها ولا تحوجها إلى شكاية بعدها فبعث معمر الرسل يطلبون وكيله حتى أحضر فسأله عما حكى المرأة فقال نعم صدقت النصف من الدار الفلانية اشتريتها من شريكها وطلبت منها النصف الذي لها لتكتمل الدار بأجمعها لنا فامتنعت فأمر بإحضار الكتاب بشراء النصف فأحضره فأقر لها على ظهره أن الشراء لها دونه ووهبه لها ووصلها بجملة دنانير وقال لها قد أبقي الله عليك النصف الذي لك وزادك النصف الذي لنا هبة منا لك فلما عرف بن طولون إنصاف المرأة حمد الله على ذلك . (٩٩)

(٩٨) رفع الإصر عن قضاة مصر . ل ابن حجر (٣٨) .

(٩٩) سيرة أحمد بن طولون . ل البُلُوي (١٦٠) ديوان المظالم . ل د. حمدي عبدالمنعم (١٧٨) .

القاضي عمرو بن عبدالله بن ليث القبعة (ت ٢٧٣هـ) .

قال الحشني عن عمرو بن عبدالله أنه كان يجلس للحكم بين الناس في ركن المسجد وحوله أهل الحواج وأصحاب الخصومات ... فأتاه رجل ضعيف عليه أطمأز وشكا إليه بعض عمال الأمير وكان ذلك العامل عظيم الشأن والقدر مرشحاً في وقته لولاية المدينة فقال له يا قاضي المسلمين إن فلاناً غصبي داري فقال له القاضي خذ فيه طابعاً - أي أمراً بالإستدعاء أمام القاضي - فقال له الرجل الضعيف مثلي يسير إلى مثله بطابع لست آمنه على نفسي فقال له خذ فيه طابعاً كما أمرك فأخذ الرجل طابعه ثم توجه إليه وبعد قليل رجع الرجل الضعيف فقال له يا قاضي إني عرضت عليه الطابع عن بعدٍ ثم هربت إليك فقال له القاضي إجلس سيقبلُ . فلم يلبث أن أتى الرجل في ركب عظيم بين يديه الفرسان والرجالة فنزل ثم دخل المسجد فسلم على القاضي وعلى جميع جلسائه ثم تمادى كما هو وأسند ظهره إلى حائط المسجد فقال له القاضي قم هاهنا فاجلس بين يدي مع خصمك فقال له أصلح الله القاضي إنما هو مسجد والمجالس فيه واحدة لا فضل لبعضها على بعض فقال له القاضي قم ها هنا كما أمرتك واجلس بين يدي مع خصمك فلما رأى عزم القاضي في ذلك قام فجلس بين يديه وأشار القاضي إلى الرجل الضعيف أن يقعد مع صاحبه بين يديه .

فقال عمرو للرجل الضعيف ما تقول .

فقال أقول غصبي داراً لي .

فقال القاضي للمدعى عليه ما تقول .

فقال أقول إن لي عليه الأدب فيما نسب إلي من الغضب .

فقال القاضي لو قال ذلك لرجل صالح كان عليه الأدب كما ذكرت .

فأما من كان معروفاً بالغضب فلا ثم قال لجماعة من الأعوان ممن كان بين يديه إمضوا معه وتوكلوا به فإن رد إلى الرجل داره وإلا فردوه إلي حتى أحاطب الأمير في

أمره وأصف له ظلمه وتطاوله فخرج مع الأعوان فلم تكن ساعة حتى أتى الرجل الضعيف والأعوان فقال الرجل الضعيف للقاضي جزاك الله عني خيراً فقد صرف إلي داري . (١٠٠)

■ **لما تولى يوسف بن يعقوب سنة (٢٧٧هـ) المظالم ببغداد "نودي في الناس :** من كانت له مظلمة ولو عند الأمير الناصر لدين الله أبي أحمد الموفق (وهو أخ الخليفة المعتمد وكان ولياً للعهد) أو عند أحد من الناس فليحضر، وسار (يوسف بن يعقوب) في الناس سيرة حسنة، وأظهر صرامة لم يُر مثلاً" . (١٠١)

الخليفة علي بن أحمد المكتفي بالله (ت ٢٩٥هـ) .

قال المسعودي : ولما نزل المكتفي قصر الحسيني في اليوم الذي كان فيه دخوله إلى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله، ولم يخلع على أحد من القواد، وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس، وإطلاق من كان محبوساً فيها، وأمر بردّ المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها، وفرق فيهم أموالاً، فمالت قلوب الرعية إليه، وكثر الداعي له بهذا السبب. (١٠٢)

الوزير علي بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الفرات (ت ٣١٢هـ) .

جلس ابن الفرات الوزير لكتاب العطاء فحاسبهم وأشرف لهم على خيانة نحو مائة ألف دينار فوری عن الامر قليلاً إذ كان كتابه منهم واستخرج ما وجد من المال في رفق وستر . (١٠٣)

(١٠٠) قضاة قرطبة . ل الخشني (١٠٥ رقم ٣٨) .

(١٠١) البداية والنهاية (١٤/٦٢٤ سنة ٢٧٧هـ) الكامل في التاريخ (٦/٤٥٦ سنة ٢٧٧هـ) المنتظم (١٢/٢٨١) .

(١٠٢) مروج الذهب . ل المسعودي (٢/١٥٨) .

(١٠٣) صلة تاريخ الطبري . ل عريب القرطي (٢٥) .

القاضي أسلم بن عبد العزيز بن هاشم (ت ٣١٧هـ) .

قال الحشني : كان بقرطبة رجلاً أعجمي ممن أُسْتُنَزِلَ من الحصون المخالفة وكانت له امرأة حرة مسلمة فاستجارت بالقاضي أسلم بن عبدالعزيز فأجارها ، وبدأ بالنظر في أمرها وكان ذلك الوقت الحاجب بدر بن أحمد : يحلُّ من أمير المؤمنين رحمه الله محلاً لطيفاً ، فلم ينشب القاضي أسلم أن أتاه يَعْلَى عن الحاجب بدر ، فقال له : الحاجبُ يقرأ عليك السلام ويقول لك إن هؤلاء العجم إنما استنزلناهم بالعهد ، ولا يحلُّ الحقُّ بهم ، وأنت أعلم بما يجب من الوفاء بالعهود ، فدع بين فلان العجمي وبين الأمة التي في يده .

فقال أسلم لِيَعْلَى : الحاجب أرسلك بهذا ؟ قال نعم .

قال : فأخبره عني : الأيمانُ كلها لازمة لي ، لا نظرتُ بين اثنين حتى أنفذَ علي

العجمي ما يجب عليه من الحق في هذه الحرة المسلمة التي في يده .

فذهب عنه يَعْلَى ، ثم رجع إليه ، فقال : الحاجب يقرأ عليك السلام ويقول : إني

لا أعترضك في الحق ولا أستحلُّ سُؤال ذلك منك ، وإنما أسألك التثبيت في ما

يجب من حق هؤلاء المعاهدين ، فقد علمت ما يجب من رعايتهم وأنت أعلم

بالواجب . (١٠٤)

الوزير عليّ بن عيسى وزير المقتدر (ت ٣٢٠هـ) .

كان عليّ بن عيسى شيخاً من شيوخ الكتاب فاضلاً دينياً، ورعاً متزهّداً متورّعاً قال

الصّوليّ: ولا أعلم أنّه وزر لبني العبّاس وزير يشبه عليّ بن عيسى في زهده وعقّته

وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه وكان يجلس لردّ المظالم من الفجر إلى العصر . (١٠٥)

(١٠٤) قضية قرطبة . ل الحشني (١٥٦ رقم ٤٥) .

(١٠٥) الفخري في الآداب السلطانية (٢٦٢) .

القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهديّ العبيديّ الفاطمي (ت ٣٤١هـ) صاحب المغرب، مات بالمنصورة التي بناها ومصرها، وكان ملكاً حادّ الذهن سريع الجواب فصيحاً مفوّهاً يخترع الخطب، عادلاً في الرعيّة، أبطل كثيراً من المظالم مما أحدثه آباؤه؛ ومات وله أربعون سنة. (١٠٦)

القاضي منذر بن سعيد بن عبدالله البلوطي (ت ٣٥٥هـ).

ومشهور ما جرى له في ذلك قصّته المشهورة في أيتام (أخي نجدة) حدّث بها جماعة من أهل العلم والرّواية، وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظيّة من نسائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد (زكريّا أخي نجدة)، وكانت بقرب النشارين في الرّبض الشرقي منفصلة عن دوره، يتصل بها حمّام العامّة، له غلّة واسعة وكان أولاد (زكريّا أخي نجدة) أيتاماً في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قومه بعدد ما طابت به نفسه، وأرسل أناساً أمرهم بمدخلة وصيّ الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصحّ إلا لوجوه، منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد، ومن الغبطة، فأما الحاجة، فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأما الوهي فليس فيها، وأما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع وإلا فلا، فنقل جوابه هذا إلى الخليفة، فأظهر الزّهد في شراء الدار طمعاً أن يتوخّى رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سؤرثها، فأمر وصيّ الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها، ففعل ذلك وباع الأنقاض، وكانت لها قيمة أكثر مما قومت به

(١٠٦) النجوم الزاهرة . ل ابن تغري بردي (٣/٣٥١ سنة ٣٤١هـ) قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه - وكان رافضياً يشتم صحابة رسول الله - إن عليّاً - رضي الله عنه - زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر ماله وأعتق ممالিকে ورد كثيراً من المظالم وبكى حتى غشى عليه (المنتظم ١٤/١٨٣) سيرة علي بن أبي طالب . ل الصلابي (٢٧٠).

للسلطان، فاتصل الخبر به، فعزّ عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصيّ على ما أحدثه فيها فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي منذر بن سعيد، وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي بئدة؟ فقال له: نعم، قال له: وما دعائك إلى ذلك قال: أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) مقوموك لم يُقدِّروها إلا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نصّ في أنقاضها أكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضلاً، ونظر الله تعالى للأيتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك، فقال: نحن أول من انقاد إلى الحقّ فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيراً. (١٠٧)

كافور بن عبد الله الإخشيدي (ت ٣٥٧هـ) .

أبو المسك. الأمير المشهور، صاحب المنبئي .
قال ابن خلدون : كان من أعظم الملوك جواداً ممدوحاً سيوساً كثير الخشية لله والخوف منه. وكان يجلس للمظالم في كل سبت إلى أن هلك. (١٠٨)

ركن الدولة بن بويه (ت ٣٦٦هـ) .

قال النويري : كانت مدة إمارته أربعاً وأربعين سنة وكان رحمه الله حليماً كريماً، كثير البذل للمال، حسن السياسة لرعيته وجنده، رؤوفا بهم عادلاً في الحكم بينهم بعيد الهمة متحرّجاً من المظالم مانعاً لأصحابه من الظلم عفيفاً عن الدماء، وكان يجرى

(١٠٧) مطمح الأنفس . ل الفتح بن خاقان (٢٥٢) نفع الطيب . ل المقري (١٦/٢) وذكر الذهبي أن الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد الأموي سلطان الأندلس أمير المؤمنين : عمل مجلساً مُشْرِفاً على البساتين، صَفَّحَ عُمْدَهُ بِالذَّهَبِ، وَرَصَعَهُ بِالْيَاقُوتِ وَالزَّمَرْدِ، وَاللُّؤْلُؤِ، وَفَرَشَهُ بِمَنْقُوشِ الرِّخَامِ، وَصَنَعَ قَدَامَهُ بَحْرَةَ مَسْتَدِيرَةً مَلَأَهَا زَيْبِقًا، فَكَانَ النُّورُ يَنْعَكِسُ مِنْهُ إِلَى الْجُلُوسِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَاضِيهِ مَنْذَرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُوطِيِّ، فَوَقَّفَ، وَقَرَأَ: {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ} فَقَالَ: وَعَظْتُ أَبَا الْحَكَمِ. ثُمَّ قَامَ عَنِ الْجُلُوسِ، وَأَمَرَ بِنَزْعِ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ (السير ٢٦٨/٨) .

(١٠٨) تاريخ ابن خلدون (٤/٤٠٩) .

الأرزاق على أهل البيوتات. ويصونهم عن التبذل، وكان يقصد المساجد الجامعة في أشهر الصيام للصلاة، وينتصب لرد المظالم، ويتعهد العلويين بالأموال الكثيرة، ويتصدق على ذوى الحاجات، ويلين جانبه للخاص والعام. (١٠٩)

القاضي أبي المطرف بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ).

من القضاة بعد ابن ذكوان، أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس. وقد كان تقلد خطة المظالم بعهد المنصور محمد بن أبي عامر؛ فكانت أحكامه شداداً، وعزائمه نافذة؛ وله على الظالمين سورة مرهوبة. وشارك الوزراء في الرأي؛ إلى أن ارتقى إلى ولاية القضاء بقرطبة، مجمعا إلى خطة الوزارة والصلاة؛ وقل ما اجتمع ذلك لقاض قبله بالأندلس. (١١٠)

محمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان القرطبي (ت ٤٣٥ هـ)

سمع من أبي المطرف القنازعي، ويونس بن عبد الله، وقلده الوزير أبو الحزم جهور القضاء بإجماع من أهل قرطبة، فأظهر الحق، ورد المظالم وشكرت أفعاله. وكان من أهل العلم والذكاء، وممن عني بجمع العلم والحديث واقتناء الكتب. (١١١)

الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني (ت ٤٣٦ هـ).

حدث في حوالي سنة (٤٣٠ هـ) فقد مات رجل بمصر وترك مالا جزيلاً، ولم يخلف سوى بنت واحدة فورثت جميع المال فتناول الناس لتزوجها لكثرة مالها ومن جملتهم القاضي عبدالحاكم بن سعيد الفارقي، فامتنعت عليه فحنق عليها وأقام أربعة شهود بأنها سفيةة وأخذ مالها، فهربت إلى الوزير وعرفته بما فعله القاضي فعمل محضراً برشدها وأشهد عليه. وأمر بإحضار القاضي فأحضر مهاناً وأخذ المال منه

(١٠٩) نهاية الأرب في فنون الأدب. ل النويري (١٧٩/٢٦).

(١١٠) تاريخ قضاة الأندلس. ل النباهي (٨٧).

(١١١) تاريخ الإسلام. للذهبي (٥٥٠/٩).

وأُنيب ولده عنه في الأحكام ولزم داره فلم يخرج منها ثم قبض الوزير على الشهود الذين شهدوا بسفهاها فأودعهم السجن وخلع من شهد لها بالرشد . (١١٢)

الوزير الكبير نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت ٤٨٥هـ).
قال الذهبي : عاقل، سائس، خبير، سعيد، متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء.

أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد ، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس ، ورغب في العلم، وأدر على الطلبة الصلوات، وأملى الحديث، وبعد صيته.
وتنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب أرسلان، ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكة على أتم ما ينبغي، وخفف المظالم، ورفق بالرعايا، وبني الوقوف، وهاجرت الكبار إلى جنابه، وازدادت رفعتة، واستمر عشرين سنة. (١١٣)

الوزير أبي شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمذانيّ (ت ٤٨٧هـ) .
كان رجلا دينيا، خيرًا كثير الخير والبرّ والصدقة . كان يصلّي الظهر ويحضر لكشف المظالم إلى وقت العصر، وكان الحجّاب ينادون في الناس: من كانت له حاجة فليعرضها. (١١٤)

السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان التُّركي (ت ٥١١هـ) .
صاحب العراق الملك غياث الدين أبو شجاع محمد ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان التركي السلجوقي.

فمن عدله أنه أبطل ببغداد المكس والضرائب ، ومنع من استخدام يهودي أو نصراني ، وكسا في نهارٍ أربع مائة فقير، وكان قد كف مماليكه عن الظلم .
وقد حارب الإسماعيلية، وأباد منهم، وأخذ منهم قلعة أصبهان .

(١١٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة . للكندي (٣٥٩) ولاية المظالم في الإسلام . د. محمد الرحوني (١٥٥) .

(١١٣) السير (٩٤/١٩) .

(١١٤) الفخري في الآداب السلطانية (٢٧٨) .

قال ابن الأثير : ومن عدله أنه اشترى ممالك من بعض التجار، وأحاطهم بالثمن على عامل خوزستان، فأعطاهم البعض، ومطل بالباقي، فحضروا مجلس الحكم، وأخذوا معهم غلمان القاضي، فلما رآهم السلطان قال لحاجبه: انظر ما حال هؤلاء، فسألهم عن حالهم، فقالوا: لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم، فقال: من هو؟ قالوا: السلطان، وذكروا قصتهم فأعلمه ذلك، فاشتد عليه وأكره، وأمر بإحضار العامل، وأمره بإيصال أموالهم، والجعل الثقيل، ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله، ثم إنه كان يقول بعد ذلك: لقد ندمت ندما عظيما حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم، فيقتدي بي غيري، ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحق. قال: وعلم الامراء سيرته، فلم يقدم أحد منهم على الظلم، وكفوا عنه. (١١٥)

الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (ت ٥٦٩ هـ) .

قال المقرئزي : وأول من بنى دار العدل من الملوك، السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمة الله تعالى عليه بدمشق، عندما بلغه تعدّي ظلم نواب أسد الدين شيركوه بن شادي إلى الرعية، وظلمهم الناس، وكثرة شكواهم إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري، وعجزه عن مقاومتهم، فلما بُنيت دار العدل أحضر شيركوه نوابه وقال: إن نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار إلا بسببي، والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبته، فامضوا إلى كل من كان بينكم وبينه منازعة في ملك أو غيره فافصلوا الحال معه وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على جميع ما بيدي . فقالوا إن الناس إذا علموا بذلك اشتطوا في الطلب .

فقال: لخروج أملاكي عن يدي أسهل عليّ من أن يراني نور الدين بعين ظالم، أو يساوي بيني وبين أحد من العامّة في الحكومة. فخرج أصحابه وعملوا ما أمرهم

(١١٥) السير (٥٠٦/١٩) الكامل . ل ابن الأثير (٦٢٠/٨ سنة ٥١١ هـ) وقال ابن الأثير ومن عدله : أنه له خازن يعرف بأبي القزويني قتله الباطنية، فلما قتل أمر بعرض الخزانة، فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس، فقال: إن هذا الجوهر عرضه علي، منذ أيام، وهو في ملك أصحابه، وسلمه إلى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه فيسلم إليهم، وكانوا تجارا غرياء، وقد تيقنوا ذهابه وأيسوا منه فسكتوا فأحضرهم وسلمه إليهم.(نفس المصدر) .

به من إرضاء أخصامهم، وأشهدوا عليهم. فلما جلس نور الدين بدار العدل في يومين من الأسبوع، وحضر عنده القاضي والفقهاء، أقام مدّة لم يحضر أحد يشكو شريكوه، فسأل عن ذلك فعرف بما جرى منه ومن نوابه، فقال الحمد لله الذي جعل أصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا. (١١٦)

المُسْتَضِيءُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْخَلِيفَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ ابْنِ الْمُسْتَنجِدِ بِاللَّهِ يُوسُفُ ابْنِ الْمُقْتَنِي مُحَمَّدِ ابْنِ الْمُسْتَظْهِرِ أَحْمَدِ ابْنِ الْمُقْتَدِي الْهَاشِمِيِّ الْعَبَّاسِيِّ (ت ٥٧٥هـ).

بويق بالخلافة وقت موت أبيه وكان ذا حلم وأناة ورأفة وبر وصدقات. قال ابن الجوزي في المنتظم : بويق فنودي برفع المكوس، ورد المظالم، وأظهر من العدل والكرم ما لم نره من أعمارنا، وفرق مالا عظيما على الهاشمين. وكان حليما، رحيما، شفيقا، لينا، كريما. (١١٧)

الملك المظفر صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ).

كان صلاح الدين يكره الوساطة والمحاباه فقد قال يوماً لأحد خاصته وقد إستعداه على جمّال (ما عسي أن أصنع لك وللمسلمين قاض يحكم بينهم والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة وأوامره ونواهيته ممتثلة وإنما أنا عبد الشرع وشحنته فالحق يقضي لك أو عليك). (١١٨)

الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله (ت ٦٢٣هـ).

قال السيوطي : استخلف عند موت والده وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، فقيل له: ألا تتفسح؟ قال: لقد يبس الزرع، فقيل: يبارك الله في عمرك! قال: من فتح دكاناً

(١١٦) خطط المقرئ (٣/٣٦٣).

(١١٧) السير (٦٨/٢١) المنتظم (١٨/١٩٠ سنة ٥٦٦هـ) الأعلام . ل الزركلي (٢/٢٢٧).

(١١٨) رحلة ابن جبیر (٢٧١) الإسلام والحضارة العربية . ل كرد علي (٥٧٩) ديوان المظالم . ل د. حمدي عبد المنعم

(١٧٨).

بعد العصر إيش يكسب؟! ثم إنه أحسن إلى الرعية، وأبطل المكوس، وأزال المظالم، وفرق الأموال .

قال ابن الأثير : لما ولي الظاهر الخلافة أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين، فلو قيل: إنه ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً، فإنه أعاد من الأموال المغصوبة والأموال المأخوذة في أيام أبيه وقبلها شيئاً كثيراً، وأبطل المكوس في البلاد جميعها وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق وبإسقاط جميع ما جددته أبوه، وكان ذلك كثيراً لا يحصى، فمن ذلك أن قرية يعقوبا كان يحصل منها قديماً عشرة آلاف دينار، فلما استخلف الناصر كان يؤخذ منها في السنة ثمانون ألف دينار فاستغاث أهلها، فأعادها الظاهر إلى الخراج الأول. ولما أعاد الخراج الأصلي على البلاد حضر خلق، وذكروا أن أملاكهم قد يبست أكثر أشجارها ونحرت، فأمر ألا يؤخذ إلا من كل شجرة سالمة.

ومن عدله أن صاحب الديوان قدم من واسط، ومعه أزيد من مائة ألف دينار من ظلم، فردها على أربابها، أخرج أهل الحبوس، وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليوفيهما عمن أعسر، وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء مائة ألف دينار، وقيل له: هذا الذي تخرجه من الأموال لا تسمح نفس ببعضه، فقال أنا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني أفعل الخير، فكم بقيت أعيش؟! .

وقال سبط ابن الجوزي: لما دخل إلى الخزائن قال له خادم: كانت في أيام آباك تمتلى، فقال: ما جعلت الخزائن لتمتلى، بل تفرغ وتنفق في سبيل الله، فإن الجمع شغل التجار. وقال ابن واصل: أظهر العدل، وأزال المكس، وظهر للناس وكان أبوه لا يظهر إلا نادراً .^(١١٩) رحمه الله رحمة واسعة .

(١١٩) تاريخ الخلفاء . ل السيوطي (٤٢٢) نهاية الأرب (٣٢٠/٢٣) الكامل في التاريخ (٦٢٢/٧) سنة ٦٢٢ هـ.

السلطان شمس الدين للمش (ت ٦٣٣هـ) .

■ أول من ولي الملك بمدينة (دهلي) مستقلاً به، وكان عادلاً صالحاً فاضلاً. ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين وأمر أن يلبس كلّ مظلوم ثوبا مصبوغا، وأهل الهند جميعا يلبسون البياض، فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحدا عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وإنصافه ممن ظلمه، ثم إنه أعيا في ذلك، فقال: إنّ بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيحرك الجرس فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه . (١٢٠)

■ السلطان أبو المظفر محمد محي الدين أورنكزيب عالمكير (ت

١١١٨هـ).

السلطان المشهور سلطان الهند وأمير المؤمنين وامامهم وركن المسلمين ونظامهم المجاهد في سبيل الله العالم العلامة الملك القائم بنصرة الدين .
ساس الأمور وأحسن إلى الرعايا وصرف أوقاته في القيام بمصالح الناس وبما يرضى به رب العالمين .

كان سخياً جواداً كريماً يبذل على الفقراء وأهل الحاجة العطايا الجميلة ويسامحهم في الغرامات، ومن ذلك أنه أبطل ثمانين نوعاً من المكوس . (١٢١)

(١٢٠) رحلة ابن بطوطة (٤٤٥) .

(١٢١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (٧٣٧/٦) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (١١٣/٤) تاريخ الإسلام في الهند . ل. عبدالمنعم النمر (٢٨٠) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية . ل. الساداتي (١٦٩/٢) .

■ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (ت ١٣٧٣هـ) .

قال صاحب مفيد الأنام : ما حصل في عامنا هذا سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف، وهو أن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل وفقه الله لفعل الخيرات، قد ألغى جميع المظالم والرسوم التي تؤخذ على الحجاج فاستبشر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بهذا وأصبح المسلمون يدعون له فصار ذلك حسنة سبق بها من قبله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. (١٢٢)

(١٢٢) مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام . ل عبد الله الوهبي ت ١٤٠١هـ (١٩٣/٢) .

لطائف

■ امرأة أسماها (ثمل) كانت قهرمانة "وصيفة" لأم المقتدر بالله جلست

للمظالم .

ذكر الزركلي : أن شغب أم جعفر (المقتدر بالله) العباسي مدبرة حازمة كانت من جوارى المعتضد بالله أبي جعفر، وأعتقها وتزوجها ولما آلت الخلافة إلى ابنها (المقتدر) سنة (٢٩٥هـ) وعمره ثلاث عشرة سنة، قامت بتوجيهه، واستولت على أمور الخلافة. وأمرت (سنة ٣٠٦هـ) قهرمانة لها اسمها (ثمل) أن تجلس للنظر في عرائض الناس، يوماً في كل جمعة، فكانت تجلس ويحضر الفقهاء والقضاة والأعيان وتبرز التواقيع، وعليها خطها. (١٢٣)

وقيل : لأن المقتدر قد استخلف وهو صغير السن فقد تدخلت أمه (السيدة) في إدارة الملك واتسع نفوذها وسلطتها إلى حد أن تُعين قهرمانتها (وصيفتها) (ثومال) صاحبة للمظالم سنة (٣٠٦هـ) فكانت تجلس في مكان بنته (السيدة) في حي الرصافة يوماً في كل جمعة فانكر الناس ذلك واستبشعوه وكثر عيبتهم والطعن فيه ولم يكن في جلوسها أول يوم طائل ، وفي اليوم الثاني أحضرت القاضي أبا الحسن معها فسكن الناس وانتفع بذلك المتظلمون وكانت تبرز التواقيع وعليها خطها . (١٢٤)

■ الخليفة محمد بن عبدالله المهدي (ت ١٦٩هـ) .

عن أحمد بن بكر الباهلي قال: حدثني حاجب المهدي قال: قال لي المهدي يوماً نصف النهار: اخرج وانظر من الباب. فخرجت فإذا بشيخ واقف، فقلت: ألك حاجة؟ فقال: ما يمكن أن أخبر بحاجتي أحداً غير أمير المؤمنين، فتركته ودخلت على المهدي، فقال لي: اخرج فانظر من الباب، فخرجت فإذا الشيخ، فقلت: إن

(١٢٣) الأعلام . ل الزركلي (١٦٨/٣) .

(١٢٤) الإدارة الإسلامية عز العرب . ل محمد كرد علي (١٤٨) ديوان المظالم . ل د. حمدي عبد المنعم (٩٠) .

كان لك حاجة فاذكرها. قال: لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين. ففعل هذا مرات، فقال المهدي: انظر من الباب. فقلت: شيخ قد سألته غير دفعةٍ عن حاجة فقال: ما يمكن أن أخبر بحاجتي أحداً دون أمير المؤمنين، فقلت: أيدخل؟ قال: نعم ومره بتخفيف، فخرجت وقلت له: ادخل وخفف. فدخل وسلم بالخلافة ثم قال: يا أمير المؤمنين إنا قد أمرنا بالتخفيف:

فإن شئت خففنا فكنا كريشةٍ ... متى تلقها الأنفاس في الجو تذهب
وإن شئت ثقلنا فكنا كصخرةٍ ... متى تلقها في حومة البحر ترسب
وإن شئت سلمنا فكنا كراكبٍ ... متى يقض حقاً من سلامك يعزب
فضحك المهدي وقال: بل تُكرم وتُقضى حاجتك. فقضى حاجته ووصله بعشرة آلاف درهم. (١٢٥)

■ قال أبو هلال العسكري قدم - على المهدي - رجل فتظلم فأنصفه فاستخفه الفرح حتى غشي عليه فلما أفاق قال ما حسبت أني أعيش حتى أرى هذا العدل فلما رأته داخلني من السرور ما زال معه عقلي فقال له المهدي كان الواجب أن نصفك في بلدك وكان قد صرف في نفقة طريقه عشرين ديناراً فأمر له بخمسين ديناراً وتحلل منه. (١٢٦)

■ الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح (ت ٣٣٤هـ) .

جلس علي بن عيسى للمظالم في كل يوم ثلاثاء فحضرته يوماً وقد جرى برجل يزعم أنه نبي فناظره فقال أنا أحمد النبي وعلامتي أن خاتم النبوة في ظهري ثم كشف عن ظهره فإذا سلعة صغيرة فقال له هذه سلعة الحماقة وليست بخاتم النبوة ثم أمر بصفعه وتقييده وحبسه في المطبق. (١٢٧)

(١٢٥) المحاسن والمساوي (٢١٢) .

(١٢٦) صبح الأعشى (٢٠٥/٦) .

(١٢٧) صلة تاريخ الطبري . ل. عريب القرطبي (٣٤) .

■ عفة الأشرف صاحب دمشق .

قَالَ سِبْطُ الْجَوْزِيِّ : كَانَ الْأَشْرَفُ يَحْضُرُ بِجَالِسِي بَحْرَانَ، وَبِحَلَاطٍ، وَدِمَشْقَ، وَكَانَ مَلِكًا عَفِيفًا، قَالَ لِي: مَا مَدَدْتُ عَيْنِي إِلَى حَرِيمِ أَحَدٍ، وَلَا ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، جَاءَتْنِي عَجُوزٌ مِنْ عِنْدِ بِنْتِ صَاحِبِ خِلَاطٍ شَاهِ أَرْمَنَ بِأَنَّ الْحَاجِبَ عَلِيًّا أَخَذَ لَهَا ضَيْعَةً، فَكَتَبْتُ بِإِطْلَاقِهَا.

فَقَالَتِ الْعَجُوزُ: تُرِيدُ أَنْ تَحْضُرَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَجَاءَتْ بِهَا، فَلَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْ قَوَامِهَا، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ شَكْلِهَا، فَخَدَمْتُ، فَقُمْتُ لَهَا، وَقُلْتُ: أَنْتَ فِي هَذَا الْبَلَدِ وَأَنَا لَا أَدْرِي؟ فَسَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ أَضَاءَتْ مِنْهُ الْعُرْفَةُ، فَقُلْتُ: لَا، اسْتَتَرِي.

فَقَالَتْ: مَاتَ أَبِي، وَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَدِينَةِ بُكْتَمَرٌ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَاجِبَ قَرِيبِي، وَبَقِيَتْ أَعِيشَ مِنْ عَمَلِ النَّقْشِ وَفِي دَارٍ بِالْكَرَاءِ.

فَبَكَيْتُ لَهَا، وَأَمَرْتُ لَهَا بِدَارٍ وَقَمَاشٍ، فَقَالَتِ الْعَجُوزُ: يَا خُونَدُ، أَلَا تَحْطَى اللَّيْلَةَ بِكَ؟ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي تَغْيِيرُ الزَّمَانِ وَأَنَّ خِلَاطَ يَمْلِكُهَا غَيْرِي، وَتَحْتَاجُ بِنْتِي أَنْ تَقْعُدَ هَذِهِ الْقَعْدَةَ، فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ، مَا هَذَا مِنْ شِيمَتِي.

فَقَامَتِ الشَّابَةُ بَاكِيةً تَقُولُ: صَانَ اللَّهُ عَوَاقِبَكَ. (١٢٨)

عمر بن عبدالعزيز ورد المظالم

حُكي أن عمر بن عبد العزيز خطب على الناس في أول خلافته، وكانت من أول خطبة فقال لهم : أوصيكم بتقوى الله، فإنه لا يقبل غيرها، ولا يرحب إلا أهلها، وقد كان قوم من الولاة منعوا الحق حتى اشترى منهم شراء، وبذلوا الباطل حتى افتدى منهم فداء، والله لولا سنة من الحق أميتت فأحييتها، وسنة من الباطل أحييت فأميتها، ما باليت أن أعيش وقتاً واحداً. (١٢٩)

وقال عمر بن عبد العزيز: « إنما هلك من كان قبلنا بِجَبْسِهِمُ الحق حتى يُشترى منهم، وبَسْطِهِمُ الظلم حتى يُفتدى مِنْهُم ». (١٣٠).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم : « أما بعد فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام، ويوم الحج الأكبر، أني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك، أو رضيته أو تعمدته، إلا أن يكون وهما مني، أو أمراً خفي علي لم أتعمده، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي، إذا علم مني الحرص والاجتهاد، ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة، فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم، حتى يراجع الحق، وهو ذميم، ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم، ولا أثره على فقرائكم في شيء من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من هذا الدين، فله ما بين مائتي دينار إلى ثلاث مائة دينار على قدر ما نوى من الحسنة، وتجشم من المشقة، رحم الله امرأ لم يتعاضمه سفر يجيي الله به حقاً لمن وراءه، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق، أحيهاها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم،

(١٢٩) الأحكام السلطانية . ل الماوردي (١٣٤) .

(١٣٠) حليه الأولياء (٣١١/٥) .

وكان الله هو المتوحد بذلك، فلا تحمدوا غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري، والسلام عليكم » . (١٣١)

وكان عمر بن عبد العزيز يقول للناس: الحقوا ببلادكم فإني أذكركم في أمصاركم وأنساكم عندي إلا من ظلمه عامل ، فليس عليه مني إذن فليأتني " . (١٣٢)

وكان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أول من ندب نفسه للنظر في المظالم، فردها وراعى السنن العادلة وأعادها، ورد مظالم بني أمية على أهلها، حتى قيل له وقد شدد عليهم فيها وأغلظ: إنا نخاف عليك، من ردها، العواقب، فقال: كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وقيته. (١٣٣)

■ قال أبو بكر بن أبي سيرة: لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم قال: إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي. (١٣٤)

■ وبدأ عمر بنفسه فنزل عن أملاكه التي انتقلت إليه من أبيه بالإرث الشرعي، ورد على رجل قدم عليه من حلوان ادّعى أن والده عبد العزيز لما كان والياً على مصر أقطع عبد الملك بن مروان أرض حلوان فورثها عمر وإخوته . فقال عمر: إن لي فيها شركاء إخوة وأخوات لا يرضون أن أقضي فيها بغير قضاءٍ قاضٍ . وقام معه إلى القاضي فقعد بين يديه، فتكلم عمر بحجته وتكلم المدعي فقضى القاضي له، فقال عمر: إن عبد العزيز قد أنفق عليها ألف ألف درهم . قال القاضي: قد أكلتم من غلتها بقدر ذلك فتلجت نفس عمر بحكم القاضي، وقال: وهل القضاء إلا هذا؟ تالله لو قضيت لي ما ولت لي عملاً . (١٣٥)

(١٣١) حلية الأولياء (٢٩٢/٥) .

(١٣٢) طبقات ابن سعد (٣٤٣/٥) .

(١٣٣) الأحكام السلطانية . ل الماوردي (١٣١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ل النويري (٢٦٩/٦) .

(١٣٤) طبقات ابن سعد (٢٦٣/٥) ثم نظر - عمر بن عبد العزيز - إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه.

(١٣٥) الإدارة الإسلامية في عز العرب . ل كرد علي (٨١) .

■ وعن عبد المجيد بن سهيل قال: رأيت عمر بن عبد العزيز بدأ بأهل بيته فرد ما كان بأيديهم من المظالم ثم فعل بالناس بعد. (١٣٦)

■ وعن خليل بن عجلان قال: كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر فقال لها عمر: من أين صار هذا إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين. قال: إما أن ترديه إلى بيت المال وإما أن تأذنيني في فراقك فأني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت. قالت: لا بل أختارك على أضعافه لو كان لي فوضعت في بيت المال. (١٣٧)

■ عن سليمان بن موسى قال: ما زال عمر بن عبد العزيز يرد المظالم منذ يوم استخلف إلى يوم مات " . (١٣٨)

■ عن عمر بن ذر قال: لم تكن همّة عمر بن عبد العزيز إلا ردّ المظالم والقسم في الناس. (١٣٩)

■ جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين استخلف، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فدك ينفق منها، ويعود منها على صغير بني هاشم، ويزوج منها أيّهم ، وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبي، فكانت كذلك حياة أبي بكر وعمر، عملاً فيها عمله، ثم أقطعها مروان، ثم صارت لي، فرأيت أمراً منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته ليس لي بحق، وإني أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١٤٠)

■ عن عمر بن علي بن مقدم قال: قال ابن لسليمان بن عبد الملك لمزاحم: إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر، قال: فاستأذنت له فقال: أدخله فأدخلته على عمر

(١٣٦) طبقات ابن سعد (٣٤١/٥) .

(١٣٧) طبقات ابن سعد (٣٩٣/٥) سيرة عمر بن عبدالعزيز . ل ابن الجوزي (١٢٧) .

(١٣٨) طبقات ابن سعد (٣٤٠/٥) قال أبو الزناد: وكان عمر يرد المظالم إلى أهلها بغير البيعة القاطعة. كان يكتفي بأيسر ذلك إذا عرف وجهها من مظلمة الرجل ردها عليه ، ولم يكلفه تحقيق البيعة لما كان يعرف من غشم الولاية . (طبقات ابن سعد ٣٤٢/٥) .

(١٣٩) الخراج . ل أبي يوسف (٢٦) .

(١٤٠) السير (١٢٨/٥) سيرة عمر بن عبدالعزيز . ل ابن الجوزي (١٣١) .

فقال ابن سليمان: يا أمير المؤمنين، علام ترد قطيعتي؟ قال: معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام، قال: فهذا كتابي، وأخرج كتابا من كفه، فقرأه عمر فقال: لمن كانت هذه الأرض؟ قال: للفاسق ابن الحجاج، قال عمر: فهو أولى بماله، قال: فإنها من بيت مال المسلمين، قال: فالمسلمون أولى بها، قال: يا أمير المؤمنين، رد علي كتابي، قال: لو لم تأتني به لم أسألكه، فأما إذ جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل، قال: فبكى ابن سليمان، قال مزاحم: فقلت: يا أمير المؤمنين، ابن سليمان اللاطئ الحب اللازق بالقلب، تصنع به هذا؟ قال: ويحك يا مزاحم، إنها نفسي أحاول عنها، وإني لأجد له من اللوط ما أجد لولدي " . (١٤١)

■ عن إسحاق بن عبد الله قال: ما زال عمر بن عبد العزيز يرد المظالم من لدن معاوية إلى أن استخلف. أخرج من أيدي ورثة معاوية ويزيد بن معاوية حقوقا. (١٤٢)

■ أمر - عمر بن عبدالعزيز - مناديه أن ينادي إلا من كانت له مظلمة فليرفعها فقام رجل إليه ذمي من أهل حمص ابيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال وما ذاك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني ارضي والعباس جالس فقال له يا عباس ما تقول قال اقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلا فقال عمر ما تقول يا ذمي قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك قم فاردد عليه يا عباس ضيعته فردها عليه . (١٤٣)

■ عن سوار أبي حجر أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال له اذكر بمقامي هذا مقاما لا شغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم القيامة بلا ثقة من عمل ولا براءة من الذنب فقال عمر ويحك اردد علي كلامك فرده عليه فجعل

(١٤١) حلية الأولياء (٢٨١/٥) والوط : الحب اللازق بالقلب .

(١٤٢) طبقات ابن سعد (٢٦٣/٥) .

(١٤٣) صفة الصفوة (٣٧٧/١) سيرة عمر بن عبدالعزيز . ل ابن الجوزي (١٢٥) .

يبكي ويتحب ويقول ويحك اردد علي فلما استثقل من البكا قال ما جاء بك قال عاملك علي أذربيجان أخذ من مالي عشرة آلاف فوضعها في بيت المال فكتب له عمر فأخرجت له وردت عليه . (١٤٤)

■ قَالَ ابن عبدالحكم : خرج عمر - بن عبدالعزيز - ذات يَوْمٍ من منزله على بغلة له شهباء وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ لَهُ وَمِلاَةٌ مَمشُوقَةٌ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ فَأَنَاحَهَا فَسَأَلَ عَنْ عَمْرٍ فَقِيلَ لَهُ قَدْ خَرَجَ عَلَيْنَا وَهُوَ رَاجِعٌ الْآنَ قَالَ فَأَقْبَلَ عَمْرٌ وَمَعَهُ رَجُلٌ يَسَايِرُهُ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ هَذَا عَمْرٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَامَ إِلَيْهِ فَشَكَى إِلَيْهِ عَدِي بنَ أَرْطَاةٍ فِي أَرْضٍ لَهُ فَقَالَ عَمْرٌ أَمَا وَاللَّهِ مَا غَرْنَا مِنْهُ إِلَّا بِعَمَامَتِهِ السَّوْدَاءِ أَمَا إِلَيَّ قَدْ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فَضَلَ عَنْ وَصِيَّتِي إِنَّهُ مِنْ أَتَاكَ بِبَيِّنَةٍ عَلَى حَقِّ هُوَ لَهُ فَسَلِمَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَدْ عَنَّاكَ إِلَيَّ فَأَمْرٌ عَمْرٌ بَرَدَ أَرْضَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ كَمْ أَنْفَقْتَ فِي جَيْتِكَ إِلَيَّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَسْأَلُنِي عَنْ نَفَقَتِي وَأَنْتَ قَدْ رَدَدْتَ عَلَيَّ أَرْضِي وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ فَقَالَ عَمْرٌ إِنَّمَا رَدَدْتُ عَلَيْكَ حَقَّكَ فَأَخْبِرْنِي كَمْ أَنْفَقْتَ قَالَ مَا أَذْرِي قَالَ أَحْزَرَهُ قَالَ سِتِّينَ دِرْهَمًا فَأَمْرٌ لَهُ بِهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَلَمَّا وَلِيَ صَاحَ بِهِ عَمْرٌ فَرَجَعَ فَقَالَ لَهُ خُذْ هَذِهِ خُمْسَةَ دَرَاهِمٍ مِنْ مَالِي فَكُلْ بِهَا لَحْمًا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (١٤٥)

■ لما ولي مُحَمَّدُ بنُ يوسُفَ أخُو الحِجَاجِ بنُ يوسُفَ اليَمَنِ، أَسَاءَ السَّيْرَةَ، وَظَلَمَ الرِّعِيَةَ، وَأَخَذَ أَرْضِي النَّاسِ بغيرِ حَقِّهَا، فَكَانَ مِمَّا اغْتَصَبَهُ الحِجْرَةَ، قَالَ: وَضَرَبَ عَلَيَّ أَهْلَ اليَمَنِ خِرَاجًا جَعَلَهُ وَظِيفَةً عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ كَتَبَ إِلَيَّ عَامِلُهُ بِأَمْرِهِ بِإِلْغَاءِ تِلْكَ الوَظِيفَةِ وَالِاقتِصَارِ عَلَيَّ العِشْرِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْ تَأْتِيَنِي مِنَ اليَمِينِ حَفْنَةٌ كَتَمْتُ أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ إِقْرَارِ هَذِهِ الوَظِيفَةِ . (١٤٦)

(١٤٤) تاريخ دمشق (٢٠١/٤٥) .

(١٤٥) سيرة عمر بن عبد العزيز . لابن عبدالحكم (١٣٠) .

(١٤٦) فتوح البلدان . لالبلاذري (١٣٧) .

■ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز بالعراق في رد المظالم إلى أهلها فرددناها حتى أنفدنا ما في بيت مال العراق. وحتى حمل إلينا عمر المال من الشام. (١٤٧)

■ عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز أن استبرئ الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهدة فرده عليه فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم. (١٤٨)

■ فقد وبخ عمر بن عبدالعزيز أحد عمّاله عندما وجده ييطئ برد المظالم قائلاً: إنه ليخيل إليّ إني لو كتبت إليك أن تعطي رجلاً شاة لكتبت إليّ أظأن أم معز ، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إليّ أذكر أم أنثى ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إليّ أصغير أم كبير ، فإذا أتاك كتابي هذا فلا تراجعني في مظلمة، والسلام. (١٤٩)

■ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المواسم أما بعد فأيما رجل قدم علينا في رد مظلمة أو أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من أمر الدين فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار بقدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة رحم الله امرءاً لم يتكأده بعد سفر لعلّ الله يحيي به حقاً أو يميت به باطلاً. (١٥٠)

■ بينما عمر بن عبدالعزيز يسير على بغلته إذ جاء رجل متزر ببرد قطري متعصب بآخر حتى أخذ بلجام بغلته ما ينهنه أحد فقال :

تدعون حران مظلوما ليأتيكم :: فقد أتاكم لعند الدار مظلوم .

فقال ممن أنت قال من أهل حضرموت قال ما ظلامتك قال أرضي وأرض آبائي أخذها الوليد وسليمان فأكلاها فنزل عمر عن دابته يتكئ حتى جلس بالأرض

(١٤٧) طبقات ابن سعد (٢٦٤/٥) .

(١٤٨) طبقات ابن سعد (٢٦٤/٥) .

(١٤٩) كتاب الوزراء والكتاب (٥٤) .

(١٥٠) سيرة عمر بن عبد العزيز . ل ابن عبدالحكم (١٢١) .

فقال من يعلم ذلك قال أهل البلد قاطبة قال يكفيني من ذلك شاهدا عدل اكتبوا له إلى بلاده إن أقام شاهدي عدل اكتبوا على أرضه وأرض آباءه وأجداده فادفعوها إليه فحسب الوليد وسليمان ما أكلا من غلتها فلما ولي الرجل قال هلم هل هلكت لك من راحلة أو أخلق لك من ثوب أو نفذ لك من زاد أو تخرق لك من حذاء فحسب ذلك فبلغ اثنين وثلاثين دينارا أو ثلاثة وثلاثين دينارا فأتى بها من بيت المال فكأني أنظر إليها تعد في يده . (١٥١)

■ جاء إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله رجل ذمي يدعى مهزاد دهقان السيلحين يشكو سعيد بن مالك بأنه كان له ضيعة بجانبه فأتاه فقال له : أعدني على نفسك فأمر به فوجئ في عنقه فقال لأرحلن إلى عمر ، فلما بلغ عمر بن عبدالعزيز كتب إلى سعيد بن مالك كتابا فقال :

بسم الله الرحمن الرحمن من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سعيد بن مالك .
سلام عليك : أما بعد فإن مهزاد دهقان السيلحين ذكر أن له ضيعة إلى جانبك وأنه أتاك يستعديك على نفسك فأمرت به فوجئت عنقه فإذا جاءك كتابي هذا فأرضه من حقه وإلا فأقبل إلي راحلاً والسلام .

فلما قرأه أرعدت فرائضه حتى سقط الكتاب من يده وقال: ويحك ما صنعت؟
اذهب فالأرض لك فقلت : لا أقبلها . فقال : لا والله لا أخذتها أبداً . (١٥٢)

■ كتب عدي بن أرطاة - عامل كان لعمر بن عبد العزيز - إليه " أما بعد فإن أناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسه شيء من العذاب " فكتب إليه عمر: " أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جنة (١٥٣) لك من عذاب الله، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله، إذا أتاك

(١٥١) مختصر تاريخ دمشق (٢٧٦/٢٩) .

(١٥٢) المحاسن والمساوي (٢١١) .

(١٥٣) مانع وواق، كل إنسان مسئول عن عمله .

كتابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً وإلا فأحلفه؛ فوالله لان يلقوا الله بجناياتهم أحب إليّ من أن ألقاه بعدابهم، والسلام". (١٥٤)

■ وأتى عمر رجل فقال : يا أمير المؤمنين زرعت زرعاً؛ فمر به جيش من أهل الشام فأفسدوه. قال: فعوضه عشرة آلاف. (١٥٥)

■ في عهد عمر بن عبدالعزيز : قال أهل سمرقند لواليهم " سليمان بن أبي السري : إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والإنصاف فإذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فإن كان لنا حق أعطيناها فإن بنا إلى ذلك حاجة فأذن لهم فوجهوا منهم قوماً فقدموا على عمر فكتب لهم عمر إلى سليمان بن أبي السري إن أهل سمرقند قد شكوا إليّ ظلماً أصابهم وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة قال فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي الناجي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة فقال أهل السعد بل نرضى بما كان ولا نجد حرباً وتراضوا بذلك . (١٥٦)

■ ذكر ابن الجوزي : أن قوماً من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبدالعزيز قوماً من بني مروان ، في أرض كانت الأعراب أحيوها ، فأخذها الوليد بن عبد الملك ، فأعطاهم بعض أهله ، فقال عمر بن عبدالعزيز : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، من أحيأ أرضاً ميتة فهي له) فردها على الأعراب . (١٥٧)

(١٥٤) الخراج . لأبي يوسف (١١٩) .

(١٥٥) الخراج . لأبي يوسف (١١٩) حلية الأولياء (٣٢٥/٥) .

(١٥٦) تاريخ الطبري (٦٩/٤) .

(١٥٧) سيرة عمر بن عبدالعزيز . لابن الجوزي (١٢٥) .

- عن عمرو بن ميمون قال : أخذ الوليد بن عبد الملك مال رجل من أهل الرقة يقال له : أبو عائشة عشرين ألفا ، فألقاها في بيت المال ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أتاه ولده ، فرفعوا مظلمتهم إليه ، فكتب إلى ميمون : ارفعوا إليهم أموالهم ، وخذوا زكاة عامه هذا ، فلولا أنه كان مالا ضمائرًا أخذنا منه زكاة ما مضى. (١٥٨)
- كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص: انظر إلى الذين نصبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار. (١٥٩)

(١٥٨) مصنف ابن أبي شيبة (٢٠٢/٣ ح ١٠٧١٧) .

(١٥٩) السير (٣٢٣/٥) .

عمر بن عبدالعزيز وفك أسرى المسلمين

■ كتاب عمر عبدالعزيز إلى أسارى القسطنطينية .

قَالَ بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ كَتَبَ عُمَرُ إِلَى الْأَسَارَى بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّكُمْ تَعْدُونَ أَنْفُسَكُمْ أَسَارَى مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ الْحَبَسَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَقْسِمُ شَيْئًا بَيْنَ رِعْيَتِي إِلَّا خَصَصْتُ أَهْلِيكُمْ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ وَأَطْيَبِهِ وَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ بِخَمْسَةِ دَنَانِيرٍ خَمْسَةَ دَنَانِيرٍ وَلَوْلَا أَنِّي خَشِيتُ إِنْ زِدْتُمْ أَنْ يُحْبَسَهُ طَاغِيَةُ الرُّومِ عَنْكُمْ لَزِدْتُمْ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فَلَانَ بْنِ فَلَانَ يَفَادِي صَغِيرِكُمْ وَكَبِيرِكُمْ وَذَكَرَكُمْ وَأَنْتَاكُمْ وَحَرَكُمْ وَمَمْلُوكَكُمْ بِمَا سُئِلَ بِهِ فَأَبْشُرُوا ثُمَّ أَبْشُرُوا وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ . (١٦٠)

■ عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، قال : لما بعثه عمر بن عبد العزيز بفداء أسارى

المسلمين من القسطنطينية قلت له : رأيت يا أمير المؤمنين ، إن أبوا أن يفادوا الرَّجُلَ بِالرَّجُلِ كَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قال عمر : زدهم قلت : إن أبوا أن يعطوا الرجل بالاثنتين ؟ قال : فأعطهم ثلاثا قلت : فإن أبوا إلا أربعا ؟ قال : فأعطهم لكل مسلم ما سألوك ، فوالله ، لرجل من المسلمين أحب إليّ من كل مشرك عندي ، إنك ما فديت به المسلم فقد ظفرت ، إنك إنما تشتري الإسلام (قال : نعم ، افدهم بمثل ما تفدي به غيرهم) (١٦١) قلت : النساء قال : نعم ، افدهن بما تفدي به غيرهن قلت : رأيت إن وجدت امرأة تنصرت ، فأرادت أن ترجع إلى الإسلام ؟ قال : افدها بمثل ما تفدي به غيرها قلت : أفرايت العبيد أفديهم إذا كانوا مسلمين ؟ قال : افدهم بمثل ما تفدي به غيرهم قلت : أفرايت إن وجدت منهم من قد تنصر ، فأراد أن يراجع إلى الإسلام ؟ قال : فاصنع بهم ما تصنع بغيرهم فصالحت عظيم الروم على كل رجل من المسلمين ، رجلين من الروم قال إسماعيل : وزاد فيه

(١٦٠) سيرة عمر بن عبد العزيز . ل ابن عبدالحكم (١٤٤) مصارع العشاق . ل ابن النحاس (٨٣٢/٢) .

(١٦١) العبارة التي بين القوسين أما أنه سقط قبلها شيء أو هي مقحمة هنا سهواً . قاله محقق سنن سعيد بن منصور الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله .

ناس من أصحابنا عن عبد الرحمن أنه سأل عمر بن عبد العزيز عن أهل الذمة ، فقال : افدهم بمثل ما تفدي به غيرهم . (١٦٢)

■ أرسل عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الروم رسولا فأتاه وخرج من عنده يدور فمر بموضع فسمع فيه رجلا يقرأ القرآن ويطحن فأتاه فسلم عليه فلم يرد عليه السلام مرتين أو ثلاثا ثم سلم عليه فقال له وأنى بالسلام في هذا البلد فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم فقال له ما شأنك فقال إني أسرت من موضع كذا وكذا فأتي بي إلى صاحب الروم فعرض علي النصرانية فأبيت فقال لي إن لم تفعل سميت عينيك فاخترت ديني على بصري فسلم عيني وصيرني إلى هذا الموضع يُرسل إلي كل يوم بحنطة فأطحنها وبخبزها فأكلها فلما سار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز فأخبره خبر الرجل قال فما فرغت من الخبر حتى رأيت دموع عمر قد بلت ما بين يديه ثم أمر فكتب إلى صاحب الروم أما بعد فقد بلغني خبر فلان بن فلان فوصف له صفته وأنا أقسم بالله لئن لم ترسله إلي لأبعثن إليك من الجنود جنودا يكون أولها عندك وآخرهم عندي فلما رجع إليه الرسول قال ما أسرع ما رجعت فدفع إليه كتاب عمر بن عبد العزيز فلما قرأه قال ما كُنَّا لنحمل الرجل الصالح على هذا بل نبعث إليه به فأقمت أنتظر متى يخرج به فأتيته ذات يوم فإذا هو قاعد قد نزل عن سريه أعرف فيه الكتابة فقال تدري لما فعلت هذا فقلت لا وقد أنكرت ما رأيت فقال إنه قد أتاني من بعض أطرافي أن الرجل الصالح قد مات فلذلك فعلت ما رأيت ثم قال إن الرجل الصالح إذا كان بين القوم السوء لم يترك بينهم إلا قليلا حتى يخرج من بين أظهرهم فقلت له أتأذن لي أن أنصرف وأيست من بعته

(١٦٢) سنن سعيد بن منصور (٢/٣٤١ ح ٢٨٢٢) . قال أبو إسحاق الفزاري : قلت للأوزاعي : أكان عمر بن عبد العزيز فاذى أسارى المسلمين؟ قال : نعم : كان بعث ابن أبي عمرة ليفدائهم ففادى ناسا ، ثم أدركه الموت . فقلت : وكيف فاداهم ؟ قال : ذكروا رجلا من المسلمين برجلين من الكفار . قلت : أوجب على الإمام أن يُفادي أسارى المسلمين من بيت المال؟ قال : نعم . بالغ ما بلغ ، أو بأسارى المشركين ، ولو واحد من المسلمين بعشرة من الكفار . (كتاب الأموال . ل ابن زنجويه ٣٢٣ رقم ٤٩٧) .

الرجل معي فَقَالَ مَا كُنَّا لِنَجِيهَ إِلَى مَا أَمَرَ فِي حَيَاتِهِ ثُمَّ نَرْجِعُ فِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ فَأَرْسَلَ مَعَهُ بِالرَّجْلِ . (١٦٣)

■ ولم يقتصر عمر بن عبد العزيز بأسرى المسلمين الذين عند الروم فقط بل بعث مع ربيعة بن عطاء مالا إلى ساحل عدن أن أفتدي الرجل والمرأة والعبد والذمي (١٦٤).

■ وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أرسل عبد الأعلى بن أبي عمرة الشيباني مولاهم في مفاداة أسرى المسلمين من الروم ، وهذا يؤكد أن هناك عدة مفاوضات جرت مع الروم في سبيل إخلاء أسرى المسلمين من الأسر حتى وإن لم يذكر عدد الأسرى ولكنه كان شديد الحرص على سلامة المسلمين حتى لو علم أنه يوجد أسير واحد في أيدي الأعداء . (١٦٥)

■ وذكر ابن المنذر أن عمر بن عبدالعزيز أعطى رجلاً مالا يفادي به أسرى المسلمين من عند الروم ، فقال له الرجل يا أمير المؤمنين إنا سنجد ناساً فروا إلى العدو طوعاً ، فنفديهم ؟ قال : نعم ، قال : وعبيداً فروا طوعاً ، وإماء ، قال : افدوهم ، فلم يذكر له صنفاً من الناس من خير المسلمين إلا أمر به ففدي . (١٦٦)

■ استعمل عمر بن عبدالعزيز جعونة بن الحارث على (ملطية) فغزا فأصاب غنماً، ووفد ابنه إلى عمر فلما دخل عليه وأخبره الخبر قال له عمر: «هل أصيب من المسلمين أحد؟» قال: لا، إلا رويجل، فغضب عمر وقال: «رويجل رويجل، مرتين،

(١٦٣) سيرة عمر بن عبد العزيز. ل ابن عبدالحكم (١٤٩) .

(١٦٤) الطبقات الكبرى . ل ابن سعد (٢٧٣/٥ رقم ٩٩٥) .

(١٦٥) تاريخ دمشق (١٧/٣٣ رقم ٣٦٥٧) جهود المسلمين في تحرير أسراهم. مروج حسن عسليية (٣٠) . وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال: " إذا خرج الرومي بالأسير من المسلمين فلا يجلب للمسلمين أن يردوه إلى الكفر (يعني بلاد الكفر) وليفادوه بما استطاعوا . (سنن سعيد بن منصور ٢/٢٩٣ ح ٢٨١٩ باب ما جاء في الفداء) .

(١٦٦) الأوسط . لابن المنذر (١٠/١٥٠ رقم ٣٢٨٢) .

تحيثوني بالشاة والبقرة ويصاب رجل من المسلمين، لا تلي لي أنت ولا أبوك عملاً
ما كنت حياً» . (١٦٧)

،،،، تم والحمد لله ،،،،

(١٦٧) حلية الأولياء (٣٣٤/٥) .